كتاب

ماذا تقصدون بمنهج "التَّكفيري"

للشيخ

أبو حفص الجزائري

حفظه الله

مؤسسة قرطبة للإعلام

ماذا تقصدون بمنهج "التكفيري"

بقلم

أبو حفص سفيان الجزائري

قدّم له و راجعه

الشيخ أبو محمد المقدسي

مقدمة الشيخ أبي محمد المقدسي

الحمد لله معز من نصر التوحيد ومذل من جادل عن الشرك والتنديد ، والصلاة والسلام على نبينا المبشر بمن يبعثهم الله عز وجل في كل زمان لإظهار الدين والتجديد ؛لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقيموا الدين بالقرآن والحديد..

وبعد فهذا الكتاب الثاني الذي طالعته لأخينا الشيخ الفاضل أبي حفص الجزائري حفظه الله ونفع به واستعملنا وإياه في نصرة دينه .. وهو في هذا الكتاب الطيب يعالج مسألة وتهمة وفرية ؛ طالما رمي بها أهل الحق في هذا الزمان ، وهي أنهم أصحاب (المنهج التكفيري)! سنّها بهذا اللفظ المحدث طواغيت زماننا وأذنابهم من أهل التجهم والإرجاء ، وإلا فاتهام أهل السنة والجماعة ورؤوسهم وعلمائهم الصادقين ودعاتهم الصادعين بشتى التهم المنفرة والمشوّهة هو ديدن أهل البدع ، كما بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث ذكر (أن الجهمية

والمعتزلة إلى اليوم يُسمّون من أثبت شيئاً من الصفات مُشبّهاً –كذباً منهم وافتراء- حتى أن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن الأشرس، من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال: ((إن هي إلا فتنتك)) وعيسى حيث قال : ((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)) ومحمد صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا...). حتى إن جُل المعتزلة تُدخل عامة الأئمة، مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم، في قسم المُشبّهة.

وقد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءاً سماه (تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة) ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع كل صِنفٍ منهم يُلقب أهل السنة بلقب افتراه -يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد- كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألقاب افتروها. فالروافض تسميهم نواصب[1] ، والقدرية يسمونهم مجبرة . والمرجئة تسميهم شكاكاً[2] ، والجهمية تسميهم مشبّهة. وأهل الكلام يسمونهم حشوية، ونوابت[3] ، وغثاء، وغُثرا[4] ، وإلى أمثال ذلك. كما كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنوناً، وتارة شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفترياً.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة...).

إلى قوله: (... ومن حكى عن الناس المقالات، وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها، فهو وربّه، والله بالمرصاد. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) أهـ.

من مجموع الفتاوى (ط. دار ابن حزم) (5/72-74).

ولقد درس أخونا الشيخ الفاضل في كتابه القيم ذالك الاتهام المعاصر، فأورد جزاه الله خيرا من النقول عن علمائنا الأعلام كشيخ الإسلام وتلميذه ابن قيم الجوزية ما يشفي الغليل في بيان أسباب الإعراض عن المنهج الحق ، وصفات أهل الأهواء المؤدية إلى رمي أهل الحق بالفرية المذكورة ،ما سترى عند تدبره أن أكثره منطبق على أعداء دعوة التوحيد في هذا الزمان من الطواغيت ومن جادل عنهم من الأذناب ..

ثم تكلم بالتفصيل عن أسباب هذه التهمة ودواعيها عند المخالفين ،

وفنّد الأسباب الرئيسية التي اتكأ عليها الخصوم في رمي أهل الحق بهذا الوصف ؛ فأفاد وأجاد وكفّى ووفّى فجزاه الله خيرا ونفع بكتابه ..

---

[1] ـ أي ممن يناصبون أهل البيت العداء بزعمهم.
[2] ـ لأنهم يجيزون مقولة (أنا مؤمن إن شاء الله).
[3] ـ النوابت: هم الأغمار من الأحداث.
[4] ـ الغثر: سفلة الناس.

وإن كان لي ثم تنبيه للقارئ لا يضر رسالة أخينا الشيخ الفاضل أبي حفص وهو أن بعض المشايخ المعاصرين الذين نقل عنهم أخونا في رسالته هذه قد أمسوا اليوم في الحقيقة مشاركين في رمي أهل الحق بأنهم أصحاب المنهج التكفيري ونحوه من الألقاب الشنيعة لا لذنب إلا تكفيرهم للطواغيت المحكمين للقوانين أو سعيهم في جهادهم ..

وهو سبب من الأسباب التي ذكر أخونا الشيخ أبو حفص في كتابه الطيب هذا أن المخالفين يصفون أهل الحق بتلك التهمة من أجله ،وأنا لست ممن يحرّج على إخوانه وطلبة العلم عموما النقل عن أمثال هؤلاء المشايخ خصوصا فيما يوافق الحق من أقاويلهم؛ رغم أني لا أفعل ذلك إلا إن كان على سبيل محاجة مقلّدتهم؛ وذلك لأن المخالف لن يعجز عن أن يأتيك من كلام مشايخهم أنفسهم أيضا ما ينقض ما فرحت به ونقلته عنهم! ثم يجعلونه مابين ناس ومنسوخ وسابق ولاحق ومتقدم ومتأخر[5] .. ونحن لا نرى إضاعة الوقت في تكلف ما تكلفه أولئك المقلدة ؛ وذلك لتناقض كلام كثير من مشايخهم وتقلّبه بحسب الظروف المتغيرة ومطالب الطواغيت المستجدة .. ولكني مع هذا أرى الأمر واسعا لا يستحق الإنكار على من نقل من كلامهم الموافق للحق؛ وعلى ذلك مشيت مع كثير من الطلبة الذين أكلفهم أحيانا للتعلّم والتدرّب على عمل البحوث والردود ، أو مع الكتب التي أقدم لها ، ويعرف سعة هذا الأمر من طالع طريقة سلفنا من العلماء الربانيين وروايتهم عن بعض أهل البدع ، ولكن مرادي هنا فقط تنبيه القارئ إلى أن بعض هؤلاء المشايخ المنقول عنهم خصوصا من لا زال على قيد الحياة منهم هم من جنس من قال فيهم الشيخ أبو حفص في كتابه هذا : (و العجيب من تصرّف التيار السلفي الإصلاحي عموما و بعض أفراد التيار السلفي التقليدي ، ففي عوض أن يُظهروا للناس الحق و يدفعوا الباطل ، لجأوا إلى دفع التهمة عنهم و إلصاقها بالتيار السلفي الجهادي ، مع أنّ عقيدة و المبادئ العامّة لكلّ هذه التيارات الثلاثة واحدة ، لاسيما في مسائل المعتقد ، الخلاف بينهم في آليات العمل ، و إسقاط الأحكام على الأعيان ،و كلّ هذا لا يرقى في مجمله أن يكون من خلاف التضاد الّذي يلزم منه التنابز بالألقاب .)

ولذلك فإن أمثال هؤلاء المشايخ هم في الحقيقة من أحوج الناس إلى تدبر كتاب أخينا القيم هذا وقراءته عسى أن ينتفعوا به ..

أسأل الله تعالى أن يجزل ثواب أخينا على ما خطّه ويخطه بنانه في نصرة التوحيد والجهاد وأن يسدّده ويثبّته على الحق المبين وأن يختم لنا وله بالشهادة في سبيله ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أبو محمد المقدسي
ربيع الثاني 1430هـ

[5] كما فعل الحلبي مع كلام للشيخ العثيمين في الحكم بالقوانين ، في كتاب وضعه حديثا في الجدال عن الطواغيت .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله أنّ العاقبة للمتّقين ، و لا عدوان إلاّ على الظّالمين ، و الصّلاة و السّلام على رسول الله و على آله و صحبه و من إهتدى بهداه إلى يوم الدّين .

أمّا بعد : كثر الحديث و التحذير من منهج التكفيريين في السّنوات الأخيرة سواء في وسائل الإعلام أو عبر التجمعات و الندوات السياسية أو من بعض رجالات الدّين ، و السؤال الذي لابدّ أن يُطرح ماذا يُقصد بالتكفيريين و بمنهج التكفيريّ ، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره ، و قد ظهر من يردّد هذه العبارات من البعض كالببغاوات بدون إدراك حقيقة هذا المنهج المُحذّر منه إلاّ حبّا في ترداد و تقليد ما يقوله الغير .

هذه اللفظة لم ترد لا في كتاب الله تعالى و لا في سنة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم التحذير منها ، و لم يُعرف في تاريخ الإسلامي الكبير أنّ علماء السلف حذر من فرقة التكفيريين و لا من منهج التكفيريّ ، بل الثابت أنّ بعض الجهابذة رُمي بهذا اللقب كما سيأتي إن شاء الله في بابه.

ثمّ إنّ من المفارقات الغريبة أنّ أوّل من حذّر من هذا المنهج في العصر الحديث هم مَن عُرفوا بمرجئة العصر ، ثمّ سرى هذا التحذير إلى رجال السياسة من أمريكان و بريطان ثمّ إلى العلمانيين على مختلف إيديولوجياتهم ، ثمّ تغنّى بهذا التحذير بعد إحتلال العراق الروافض ، أليس هذا من المفارقات العجيبة الّتي تستدعي من كلّ مخلص أن يتوقّف من ترداد ما يمليه الأعداء و أهل الأهواء حتّى نتبيّن حقيقة هذا المنهج ؟!
إنّ الأمور الّتي إستدعت كلّ هذا التحذير من هذا المنهج بعض المسائل العلمية كما يزعم المحذّر، سأقف بعون الله مع بعضها حتّى نتبيّن الحكم الشرعي فيها و منه نتعرف على هذا المنهج الّذي سُمّي بمنهج التكفيريّ و منه سنتعرّف عن حكم الشرعيّ من هذا المنهج ؟

فكان هذا الكتاب و كانت مباحثه كالتالي : بعد المقدّمة

❷ باب : بين يدي الموضوع .

- فصل : ضبط بعض قواعد النقاش .
- فصل : من مميّزات المعاند .

❷ باب : من المقصودون بهذه التهمة ؟

- فصل : فرية قديمة جديدة
- فصل : ما أسباب هذه التهمة

و فيه ذكر السبب بصفة مجملة

- فصل : ما يجب أن يُعلم .
- فصل : الأسباب بصفة تفصيلية

- مسألة حكم تارك الصّلاة الوضعية .
- مسألة حكم القوانين
- مسألة حكم جهاد الدّفع .
- مسألة الطّائفية.

❷ باب : ماذا بعد ؟ ..ماذا تنقمون منّا ؟
❷ باب : يا قومنا ، الله الله في إسلامكم.
❷ باب : التحذير من الغلو.
❷ الخاتمة .

أسأل الله حسن الخاتمة و فيها ذكرتُ أهمّ أصناف الغلاة في التكفير .

فإن وُفّقت فالفضل لله و حده لا شريك له ، و إن أخطأت : سبحانك اللّهم و بحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، أستغفرك و أتوب إليك .

أبو حفص سفيان الجزائري عنابة : شهر شعبان 1427

Al-Qayrawan

باب: بين يدي الموضوع

فصل: ضبط بعض القواعد

قبل البدء في مناقشة المسائل المطروحة لابدّ و أن نقرّر قواعد علمية نسير وفقها و هي تلك الّتي وضعها علماؤنا لحلّ الخلافات العلمية .

♦ أوّل هذه القواعد أنّ الأحكام الشرعية تنقسم إلى ثوابت و متغيّرات ، فما كان من الثوابت فلا يجوز التنازل عنها و لا المساومة فيها ، و أمّا المتغيّرات فهي الّتي تتغيّر بتغيّر الأزمان و الأمكان و الأحوال .

و الضابط بين ما هو ثابت و ما هو متغيّر ، أنّ الثابت هو ما دلّ عليه نصّ صحيح محكم ، أو إجماع ثابت ، أو قياس ظاهر ، فهي كلّ القطعيات الّتي لا مجال للإجتهاد فيها.

و أمّا المتغيّر فهو ما كان من إجتهادات أهل العلم إستنباطا من النصوص الشرعية لمعالجة حادثة أو واقعة ، فالحكم الشرعي المستنبط من الدليل يتغيّر بتغيّر الواقع و الحادثة ، و على هذا كانت من الأحكام المتغيّرة .

♦ ثانيا من الأمور الّتي لابدّ أن نقرّرها أنّ كلّ مسألة نريد البحث فيها لا بدّ و أن نعود فيها إلى علماء السلف و والوقوف على أدلّتهم ثمّ إعمال النظر في ما جمعناه من الأدلة والأقوال ، فلا داعي أن نحدث قولا لم يقل به السلف فإنّ هذا يُعدّ من محدثات الأمور ،إلاّ إذا كانت مسألة لم تطرأ في زمن علماء السلف فيبحثون فيها ، أمّا مسائلنا الّتي نريد البحث فيها فكلّها و لله الحمد قد أشبع علماء السلف فيها بحثا و تقريرا و تقعيدا ، إذًا لا داعي أن نحدث أقوالا.

♦ ثالثا لا يخلو أمر من أمرين ، إمّا أن نراهم إجتمعوا في تقرير مسألة ، و إمّا أنّهم إختلفوا ، فإذا إجتمعوا فلا سبيل لنا إلاّ أن نتمسّك بغرزهم ، و أمّا إذا إختلفوا فيجب التحاكم إلى الكتاب و السنّة فما كان منها أقرب إلى الدليل كان هو الحق.

الميزان الشرعي هو التحاكم إلى الكتاب و السنّة و على فهم سلف الأمّة لا غير.

و في هذه الفقرة نقاط :

1./ لا ينبغي بتر الدّليل و الإستدلال بجزئه فهذا صنيع أهل الأهواء ، حيث يبترون الأدلّة آخذين منها ما يوافق أهواءهم .

1./ لا ينبغي إتّباع المتشابه و ردّ المحكم ، فهذا صنيع أهل الزيغ ، و من المتشابه ما يكون في ذات النّص و ذلك إذا كان يحتمل معنيين فأكثر متعارضة من غير ترجيح و هو المجمل .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى : و قد علم العلماء أنّ كلّ دليل فيه إشتباه و إشكال ليس بدليل في الحقيقة حتّى يتبيّن معناه و يظهر مراده،لأنّ حقيقة الدليل أن يكون ظاهرا في نفسه ، و دالاّ على غيره ، و إلاّ إحتاج إلى دليل ، فإن دلّ دليل على عدم صحّته فأحرى أن لا يكون دليلا . إنتهى

1./ لا ينبغي الإستدلال بالنص العام معارضين به نصا خاصّا ، فهذا من إتباع المتشابه ، فقد قرّر العلماء انّ النصّ الخاص قاضي على النصّ العام ، و مقدّم عليه ، و مفسّر له .

♦ رابعا قرّر علماؤنا أنّ كلّ نص ظهر لنا فيه التعارض مع نص آخر فلنا سبيل من هذه السبل :

أ- الجمع بين النصوص
ب- إذا عملنا التاريخ أعملنا قواعد النسخ
ت- إذا جهلنا التاريخ و ما أمكنا الجمع لجأنا إلى الترجيح ، و للترجيح قواعد معلومة . قال الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الإعتصام : إنّما الترجيح بالوجوه المعتبرة شرعا ، و هذا متفق عليه بين العلماء ، فكلّ من إعتمد على تقليد قول غير محقق ، أو رجّح بغير معنى ، فقد خلع الربقة و إستند إلى غير شرع ، عافنا الله من ذلك بفضله ، فهذه الطريقة في الفتوى من جملة البدع المحدثات في دين الله تعالى . إنتهى
ث- إذا لم نوفّق لكلّ ذلك الأسلم هو التوقف ، و توقف فئة في مسألة لا يعني أنّ الأمر ملزم للكلّ ، أي أنّ التوقف أمر نسبي .

♦ خامسا : إذا بان لنا الدليل فالواجب الشرعي هو أن ندين إلى الله بما ترجّح عندنا ، فنحن متعبّدون بذلك .
♦ سادسا : قال[6] شيخ الإسلام إبن تيمية : و ممّا يجب ان يُعلم أنّ الّذي يريد أن ينكر على الناس ليس له أن يُنكر إلاّ بحجة و بيان ، إذ ليس لأحد أن يُلزم أحدا بشيء ، و لا يحظر على أحد شيئا بلا حجّة خاصّة إلاّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم المُبلّغ عن الله الّذي أوجب على الخلق طاعته فيما أدركته عقولهم و ما لم تدركه ، و خبره مصدق فيما علمناه و ما لم نعلمه ، و أمّا غيره إذ قال هذا صواب أو خطأ ، فإن لم يُبيّن ذلك بما يجب به إتّباعه ، فأوّل درجات الإنكار أن يكون المنكر عالما بما ينكره ، و ما يقدر الناس عليه ، فليس لأحد من خلق الله كائنا من كان أن يبطل قولا ، أو يحرم فعلا إلاّ بسلطان الحجة ، و إلاّ كان ممّن قال الله فيه : " الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ما هم ببالغيه " ، " الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله و عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبر جبار " . إنتهى

[6] - مجموع الفتاوى (2 / 3 / 155)

و إضافة إلى هذه القواعد أذكر الباحث بأهم شيء و هي قد تُعدّ قاعدة القواعد أقصد الإخلاص لله تعالى في البحث والصدق مع الله في الوصول إلى الحق و التقرّب إلى الله بما ظهر و بان ، فالله أحق أن يُرضى و لو في سخط كلّ الناس ، و ليكن في العلم أنّ الله يعلم خائنة الأعين و ما تُخفي الصدور ، فليحرص مريد الحقّ على إتّباع الدليل فيسلك سبيله ، لا أن ينتصر إلى هواه بإخضاع النصوص إلى آرائه ، فهذا ليس بسبيل الناجين يوم القيامة.

على الله توكّلنا و هو حسبنا و نعم الوكيل .

اللّهم ربّ جبرائيل وميكائيل و إسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما اختلفوا فيه ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

Al-Qayrawan

فصل : من مميزات المعاند

بعدما تعرّفنا إلى أهمّ ما يجب أن ندركه من قواعد قبل البدء في البحث نتعرّف إلى مميّزات المخالفين للحق المعاندين له ، و ذلك بالتطرق أوّلا : إلى أسباب الإعراض عن الحق بصفة إجمالية و تفصيلة ، و ثانيا بيان أوصاف أهل الأهواء

و ذلك حتّى يكون المرء على بيّنة من الأمر فلا يكون من المعرضين و لا من المعاندين.

أولا: أسباب الإعراض عن الحق

و الأسباب على نوعين من حيث الإجمال و من حيث التفصيل ، و من أفضل من نقف معهم في عرض أهمّ هذه الأسباب هم أئمّة الهدى و أهل التجربة في الدعوة ، و من بين هؤلاء الأعلام شيخ الإسلام إبن تيمية ، و تلميذه إبن القيّم الجوزية رحمهما الله تعالى.

الأسباب من حيث الإجمال :

قال[7] شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله مبيّنا أسباب الإختلاف المذموم : يكون سببه تارة فساد النيّة لما في النفوس من البغي و الحسد ، وإرادة العلو في الأرض بالفساد ، و نحو ذلك، فيحبّ لذلك ذمّ قول غيره أو فعله ، أو غلبته ليتميّز عليه ، أو يحبّ قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ، و نحو ذلك ، لما في قيام قوله من حصول الشرف و الرئاسة له ، و ما أكثر هذا في بني آدم ، و هذا ظلم .

و يكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الّذي يتنازع فيه ، أو الجهل بالدليل الّذي يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحقّ : في الحكم أو في الدليل ، و إن كان عالما بما مع في نفسه من الحق حكما و دليلا و الجهل و الظلم هما أصل كلّ شرّ ، كما قال سبحانه : " و حملها الإنسان إنّه كان ظلوما جهولا " . إنتهى

أمّا من حيث التفصيل :

قال[8] الإمام إبن القيّم رحمه الله تعالى ، و هو يبيّن موانع إنقياد العبد للحق :

و تفصيل هذه الجملة أنّ العلم بكون الشيء سببا لمصلحة العبد و لذاته و سروره ، قد يتخلّف عنه عمله بمقتضاه لأسباب عديدة :

- السبب الأوّل : ضعف معرفته بذلك (أي بذلك العلم) .

[7] - إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص : 37)
[8] - مفتاح دار السعادة (1 / 179- 183) بتصرف يسير .

⊡ السبب الثاني : عدم الأهلية ، و قد تكون معرفته به تامّة ، لكن يكون مشروطا بزكاة المحل، و قبوله للتزكية ، فإذا كان المحل غير زكي و لا قابل للتزكية ، كان كالأرض الصلدة الّتي لا يخالطها الماء ، فإنّه يمتنع النبات منها لعدم أهليتها و قبولها ، فإذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ، و لا تؤثر فيه النصائح ، لم ينتفع بكلّ علم يعلمه ، كما لا تنبت الأرض الصلبة و لو أصابها كلّ مطر، و بذر فيها كلّ بذر ، كما قال تعالى : " إنّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك لا يؤمنون و لو جاءتهم كلّ ءاية حتّى يروا العذاب الأليم "[9] ..فإذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا ، لا يعمل فيه العلم شيئا ، و كذلك إذا كان مريضا مهينا مائيا لا صلابة فيه و لا قوّة و لا عزيمة ، لم يؤثر فيه العلم .

⊡ السبب الثالث : قيام مانع ، و هو إمّا حسد أو كبر ، وذلك مانع إبليس من الإنقياد للأمر ، و هو داء الأوّلين و الآخرين إلاّ من عصم الله ، و به تخلّف الإيمان عن اليهود الّذين شاهدوا رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، و عرفوا صحّة نبوّته ، و من جرى مجراهم ..

⊡ السبب الرّابع : مانع الرياسة و الملك ، و إن لم يقم بصاحبه حسد و لا تكبر عن الإنقياد للحقّ ، لكن لا يمكنه أن يجتمع له الإنقياد و ملكه و رياسته ، كحال هرقل و أضرابه من ملوك الكفار الّذين علموا نبوّته و صدقه ، و أقرّوا بها باطنا ، و أحبّوا الدخول في دينه، لكن خافوا على ملكهم ، و هذا داء أرباب الملك و الولاية و الرياسة ، و قلّ من نجا منه إلاّ من عصم الله ..

⊡ السبب الخامس : مانع الشهوة و المال ، و هو الّذي منع كثيرا من أهل الكتاب من الإيمان ، خوفا من بطلان مأكلهم و أموالهم الّتي تصير إليهم من قومهم ، و قد كانت قريش يصدّون الرجل عن الإيمان بحسب شهوته ، فيدخلون عليه منها ..

⊡ السبب السادس : محبة الأهل و الأقارب والعشيرة ، يرى أنّه إذا إتّبع الحق، و خالفهم ، أبعدوه و طردوه و اخرجوه من بين أظهرهم ، و هذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر بين قومهم و أهاليهم و عشائرهم .

⊡ السبب السابع : محبة الدّار و الوطن ، و إن لم يكن له به عشيرة و لا أقارب لكن يرى أنّ في متابعة رسول الله عليه الصّلة و السّلام خروجه عن داره و وطنه إلى دار الغربة و النوى ، فيضن بوطنه .

⊡ السبب الثامن : تخيّل أنَّ في الإسلام و متابعته الرسول إزراء و طعنا منه على آبائه و اجداده ، و ذمّا لهم ، و هذا هو الّذي منع أبا طالب و أمثاله عن الإسلام ..

⊡ السبب التاسع : متابعة من يعاديه من الناس للرسول ، و سبقه إلى الدخول في دينه ، و هذا القدر منع كثيرا من إتّباع الهدى ، يكون للرجل عدوّ و يبغض مكانه و يقصد مخالفته و مناقضته ، فيراه قد إتّبع الحق ، فيحمله قصدُ مناقضته و معاداته على معاداة الحق و اهله ، و إن كان لا عداوة بينه و بينهم ..

[9] - يونس (97 – 98)

⊡ السبب العاشر : مانع الإلف و العادة و المنشأ ، فإنّ العادة قد تقوى حتّى تغلب حكم الطبيعة ، و لهذا قيل : هي طبيعة ثانية ، فيتربّى الرجل على المقالة ، و ينشأ عليها صغيرا ، فيتربّى قلبه و نفسه عليها كما يتربّى لحمه و عظمه على الغذاء المعتاد ، و لا يعقل نفسه إلاّ عليها ، ثمّ يأتيه العلم وهلة واحدة ، يريد إزالتها و إخراجها من قلبه ، فيعسر عليه الإنتقال ، و هذا السبب و إن كان أضعف الأسباب معنى ، فهو أغلبها على الأمم و أرباب المقالات و النحل .إنتهى

هذه أهمّ موانع إنقياد المرء للحقّ ، و بعد هذا التوضيح ، نقف مرّة أخرى مع الإمام إبن القيّم لكن هذه المرّة ليبيّن لنا أصناف أهل الأهواء الّذين حالت بعض الأسباب المذكورة آنفا عن قبولهم الحق و الإنقياد له .

ثانيا: بيان أهم أوصاف أهل الأهواء

قال الإمام إبن القيّم رحمه الله تعالى في قصيدته النونية الّتي سمّاها الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية :

و هذا و إنّي بعدُ ممتحن بأر بعة و كلُّهم ذوو أضغان

يذكر الإمام أنّه و كلّ من إتّبع الحق سيمتحنون بأربعة أصناف من الناس و كلّهم يشتركون في وصف واحد و هو الكيد و الغل و المكر .

هان الدّين على قلوبهم حتّى صاروا يتلاعبون به ، ردّوا نصوص الوحيين و لم يروها صالحة للإحتجاج بحجّة أنّ فيها إجمال و إطلاق ، فإذا وقع لهم رأي لأحد من الشيوخ الّذين يرضون قوله طاروا بها فرحا و أستمعوا إليه كأنّه الوحي ، و لم يسألوه عن حجّته فيما قال ؛ ثمّ إذا جهر الموحّد بالحق المستمدّ من نصوص الوحي بدّعوه ما دام مخالفا لآرائهم ، و إن قالوا هم باطلا نسبوه إلى الهدي ، فإذا حاول الموحّد ردّ باطلهم كشّروا على أنيابهم و جاهروا له بالعداوة و قالوا له :

خالفت أقوال الشيوخ و لم يبالوا الخلف للفرقان

هذه المقولة الّتي تدلّ على تعصّب و جهل " خالفت أقوال الشيوخ " تلك عندهم عظيمة و جريمة مع أنّهم هم لم يبالوا بمخالفتهم للفرقان .

فبمخالفتهم للنصوص إنتكست فطرهم و عقولهم فأصبحوا لا يعرفون مواطن العيب من مواطن المدح ، فما يجب أن يعلموه أنّ العيب كلّ العيب ليس إلاّ في مخالفة النصوص الّتي جاء بها المعصوم صلّى الله عليه و سلّم ، و ليس في مخالفة آراء الرجال مهما كانت أسماؤهم و مهما علت رسومهم .

فهنيئا لكم مخالفة النصوص ، و هنيئا لنا مخالفة بعض الشيوخ ، فهل نستوي ؟!

ثمّ عجبا بعد عجزهم في مقارعة الحجّة بالحجّة لجؤوا إلى نشر الإشاعات و الوشاية إلى الحكام .

يـــا ربّ هـــم يشـــكوننا أبـــدا ببغـــيهم و ظلمهـــم إلـــى الســـلطان

و يلبّســـون عليـــه حتّـــى انّـــه ليظـــنّهم هـــم ناصـــروا الإيمـــان

فيرونـــه البـــدع المظلمـــة فـــي قوالـــب ســـنّة نبويـــة و قـــران

يـــا فرقـــة التلبـــيس لا حييـــتم أبـــدا و حييـــتم بكـــلّ هـــوان

لكنّنـــا نشـــكوهم و صـــنيعهم أبـــدا إليـــك فأنـــت ذو ســـلطان

و هؤلاء الأصناف الأربعة الّتي أشار إليهم الإمام إبن القيّم هم :

الصّنف الأوّل : جاهل متعالم و لا يدري أنّه جاهل ، فظ غليظ يتوارى وراء الكلمات الطنانة و المظهر الحسن ، بضاعته مزجاة جريء في الفتوى ، قصارى علمه رمي خصومه بالتكفير و التبديع و التضليل بدون ضوابط شرعية بل الضابط عنده هو هواه ، فإذا دعي إلى المناظرة و أيقن أنّه مغلوب بالحجّة لجأ إلى الحكام بالوشاية على مخالفيه أنّهم يريدون ملكه و الخروج عليه ، فإذا تقاعس الحاكم في النيل من أهل الحق شجعه على أن يبطش بهم قبل أن يكثُر أتباعهم .

أمّا أوصافهم في المناظرات هو اللغو و الشوشرة إذا إحتجّ مخالفهم بالحجّة حتّى لا يُسمع لكلامه ، و عمدتهم هي إعتمادهم على قول فلان و فلان من متبوعيهم ، و كذا شهادات الزور على مخالفيهم من أهل الحق .

قال رحمه الله مبيّنا تلكم الأوصاف :

فـــظ غلـــيظ جاهـــل مـــتمعلمٌ ضـــخمُ العمامـــة واســـع الأردان

متفيهـــق متضـــلع بالجهـــل ذو صـــلَع و ذو جلَـــح مـــن العرفـــان

مَزْجـــي البضـــاعة فـــي العلـــوم و أنّـــه زاج مـــن الإيهـــام و الهـــذيان

تشـــكو إلـــى الله الحقـــوق تظلّمـــا مـــن جهلـــه ذاك علـــى قضـــا الـــرحمن

عجبــت فــروج الخلــق ثــمّ دمــاؤهم ... و حقــوقهم منــه إلــى الــديّان

مــا عنــده علــم ســوى التكفيــر و الــت ... بــديع و التضــليل و البهتــان

فــإذا تــيقّن أنّــه المغلــوب عنــد ... تقابــل الفرســان فــي الميــدان

قــال إشــتكوه إلــى القضــاة فــإنْ هــمُ ... حكمــوا و إلاّ أشــكوه للســلطان

قولــوا لــه هــذا يحِــل الملــكَ بــل ... هــذا يزيــل الملــك مثــل فــلان

فــاعقره مــن قبــلِ إشــتداد الأمــر منــه ... بقــوّة الأتبــاع و الأعــوان

و إذا دعــاكم للرســول و حكمِــه ... فــادعوه كلّكــم لــرأي فــلان

و إذا إجتمعــتم فــي المجــالس فــالغوا ... و ألغــوا إذا مــا إحــتجّ بــالقرآن

و إستنصــروا بمحاضــرٍ و شــهادة ... قــد أصــلحت بــالرفق و الإتقــان

لا تســألوا الشــهداء كيــف تحمّلــوا ... و بــأيّ وقــت بــل بــأيّ مكــان

و أرفَــوا شــهادتهم و مشــوا حالهــا ... بــل أصــلحوها غايــة الإمكــان

و إذا هــم شــهدوا فزكّــوهم و لا ... تصــغوا لقــول الجــارح الطّعــان

قولــوا العدالــةُ مــنهم قطعيــةٌ ... لســنا نعارضــها بقــول فــلان

ثبتــت علــى الحكــام بــل حكمــوا بهــا ... فــالطعن فيهــا لــيس ذا إمكــان

مــن جــاء يقــدح فــيهم فليتّخــذ ... ظهــرا كمثــل حجــارة الصّــوان

و إذا هــم إســتعداهم فجــوابكم ... أتردّهــا بعــداوة الــدّيان

مُؤَسَّسَةُ القَيْرَوَانَ الإِعْلَامِيّة

الصّنف الثاني : عارف بالحق إلاّ أنّه يحسد أهل الحق ، فجعل همّه دفع كلام من يحسده و ردّه و لو كان في غاية الوضوح و البيان ، حتّى أنّه يلجأ إلى كتمان النصوص أو تحريفها إذا إستدلّ بها خصمه ، فهو يخشى صولة النصوص على آرائه المتهافتة فيبادر إلى ردّها ، فصار هذا ديدنه و منهجه في ردّ النصوص و تحريفها حتّى لا يظهر عيبه و جهله .

قال رحمه الله :

أو حاسد قد بات يغلي صدرُه ... بعداوتي كالمرجل الملآن

لو قلتُ هذا البحرُ قال مكذّبا ... هذا السّرابُ يكون بالقيعان

أو قلتُ هذي الشمس قال مباهتا ... الشمس لم تطلع إلى ذا الآن

أو قلتُ قال الله قال رسوله ... غضب الخبيث و جاء بالكتمان

أو حرّف القرآن عن موضوعه ... تحريف كذّاب على القرآن

صال النصوصُ عليه فهو بِدفعِها ... متوكّل بالدّأب و الديدان

فكلامُه في النص عند خلافه ... من باب دفع الصّائل الطّعان

فالقصد دفع النص عن مدلوله ... كيلا يصول إذا إلتقى الزحفان

الصّنف الثالث : أعمى القلب و البصيرة لا علم عنده و لا معرفة بل رضي أن يعيش ذيلا لأحد الصنفين المذكورين آنفا ، هذا الصنف الثالث لا شغل له إلاّ أن يردّد إتّهامات السّابقين باللعن و التكفير و التبديع و التضليل و التفسيق ظلما و عدوانا في غير تحرج و لا حياء ، فإذا سئل دليلا على ما يقول لم يجد حيلة إلاّ أن يحيل السائل على ما قاله الرّجلان السابقان فيه .

قال رحمه الله :

و الثالث الأعمى المقلّد ذيْنك الرّ ... جلين قائد زمرة العميان

فـــاللّعن و التكفيـــر و التبـــديع و الـــت ضـــليل و التفســـيق بالعـــدوان

فـــإذا هـــم ســـألوه مُســـتنَدا لـــه قـــال إســـمعوا مـــا قالـــه الـــرّجلان

الصّنف الرّابع : من يشتغل بالنميمة من أجل الشهرة، خسيس الطبع كالخنزير يتقمم المزابل ، يجري وراء القوم كالكلب يصيب منهم عظما يفرح به و ينهش منه تاركا لهم قطعان اللحم من عرض أهل الحق ، فهم يتمتعون بهم رخيصة السّعر .

هذا الصنف من سقط الناس فلا علم و لا دين و لا سلطة ، و لكنّه يريد الظهور و الشهرة ، فإذا تحرّكت الفتنة تحرّك نحوها كالثعبان ، هذا الصنف وجوده في الناس أعظم بليّة ، بل هو شرّ من وجود عسكر الطغاة و الغزاة ، فهو يضرب في الأرض باحثا عن من يشتري فساده و شرّه ، فلمّا وجد التجار جميعا رحلوا عن هذه الأوطان و لم يبق فيها إلاّ الّذين يتّجرون في أعراض أفاضل الناس بلا عوض و لا أثمان قدّم نفسه زبونا لهم يشتري منهم و يروّج لتجارتهم .

قال رحمه الله :

هـــذا و رابعهـــم و لـــيس بكلـــبِهم حاشـــا الكـــلابَ الآكلـــي الأنتـــان

خنزيـــرُ طبـــعٍ فـــي خليقـــة نـــاطق متســـوّف بالكـــذب و البهتـــان

كالكلـــب يتـــبعهم يشمْشـــم أعظمـــا يرمونهـــا و القـــومُ للحمـــان

يتفكّهـــون بهـــا رخيصـــا ســـعرها ميتـــا لا عـــوض و لا أثمـــان

هـــو فضـــلة فـــي النـــاس لا علـــم و لا ديـــن و لا تمكـــين ذي ســـلطان

فـــإذا رأى شـــرّا تحـــرّك يبتغـــي ذكـــرا كمثـــل تحـــرّك الثعبـــان

ليـــزول منـــه أذى الكســـاد فينفُـــقَ ال كلـــبُ العقـــورُ علـــى ذكـــور الضـــان

فبقـــاؤه فـــي النـــاس أعظـــمُ محنـــةً مـــن عســـكر يُعـــزى إلـــى غـــازان

هـــذي بضـــاعة ضـــاربِ فـــي الأرض يـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــب غـــي تـــاجرا يبتـــاع بالأثمـــان

وجـــد التجـــارَ جمـــيعَهم قـــد ســـافروا عـــن هـــذه البلـــدان و الأوطـــان

إلاّ الصّـــــــعافقة الّـــــــذين تكلّفـــــوا أن يتْجُـــروا فينـــا بـــلا أثمـــان

فهـــم الزبـــون لهـــا فبـــالله ارحمـــوا مـــن بَيعـــة مـــن مفلـــس مِـــدْيان

يـــا ربّ فـــارزقهم بحقّـــك تـــاجرا قـــد طـــاف بالآفـــاق و البلـــدان

مـــا كـــلّ منقـــوش لديـــه أصـــفرُ ذهبـــا يـــراه خـــالص العِقيـــان

و كـــذا الزجـــاجُ و درّةُ الغـــوّاص فـــي تمييـــزه مـــا إن همـــا مـــثلان

باب: من المقصودون بهذه التهمة؟

للجواب على هذا السؤال بإنصاف يحتاج إلى تتبع الأحداث كما هي ، لا كما يشتهي المرء أن تكون ، وعندئذ سيجد أنّ المقصود بهذه التهمة " التكفيريين " هوما بات يُعرف بالتيارالسلفي ، أو ما يُطلق عليه من البعض بالتيارالوهّابي نسبة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، و لا شكّ انّ أتباع التيار السلفي غيرُ مقيّدين بكلّ ما جاء عن الإمام محمد بن عبد الوهاب إلاّ أنّ المخالفين لهذه المدرسة أقصد المدرسة السلفية يأبون إلاّ تلقيبها بالوهّابية[10] .

ما المقصود بالتيار السلفي ؟ :

السلفية هي نسبة إلى السلف الصّالح ، و يقصد أتباع هذا التيار ، الرجوع إلى فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية ، فهم في منهج التلقي و الإستدلال على ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

فالسلفية بهذا المفهوم هو منهج أفهام لا منهج أشخاص فهو غير مقيّد لا بمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب ، و لا بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و لا بمدرسة شيخ الإسلام أحمد إبن تيمية رحم الله الجميع .

و هذا التيار الكبير و الواسع جرّاء الأحداث الكثيرة التي عصفت بالأمّة الإسلامية أفراده إنقسموا إلى تيارات ثلاثة ، و هذا التقسيم راجع إلى نظرة كلّ فريق إلى الأحداث و أسلوب معالجتها ، فهم متّفقون من حيث المسلك العلمي النظري ،و مختلفون من حيث الميدان العملي الحركي ، و هذه التيارات الثلاثة[11] هي :

 تيار السلفية التقليدية : و أهل هذا التيار منشغلون بالمسائل العلمية بحثا و دراسة ، أفادوا الأمّة و نفعوها في بيان التوحيد والسنّة و ما يضادّها من الشرك و البدعة ، إلاّ أنّ الكثير منهم غيرُ مهتمّين بالأمور الواقعية من حيث علاجها ، و إن كان للبعض مشاركات فهي مقتصرة على مجرد التنديد بدون حلول عملية إلاّ من حيث الإجمال بأن يقولوا لابدّ من الرجوع إلى الكتاب و السنة ، لكنّهم لا يقولون كيف يكون هذا الرجوع في مثل هذه الظروف المعاصرة المعقّدة .

و قولي أنّ الكثير غير مهتمّين بالأمور الواقعية ، يُفهم منه أنّه ثمّة من العلماء من هذا التيار مهتمّين بما يحدث في العالم الإسلامي و يشاركون إخوانهم الأحزان ، كما يشاركونهم المشورة في نصرة المستضعفين .

[10] - أنصح بقراءة كتاب : " تصحيح خطأ تاريخي حول الوهّابية " ، للدكتور محمد بن سعد الشويعر

[11] - عرض هذه التيارات الثلاثة كما هو عليه الحال في الواقع ، و لستُ أريد من هذا الطرح تقييم هذه التيارات فهذا له موضع آخر .

و ثمّة فئتان تُنسبان إلى هذا التيار ، و علماء و مشايخ السلفية التقليدية يتبرّؤون من سوء فِعال هاتين الفيئتين ، و أقصد بالفيئتين :

أ- فئة المداخلة : نسبة إلى الدكتور ربيع بن هادي المدخلي ، و عُرف هذا التيار بالغلوّ في الردّ على مخالفيه ، تبديعا و تجريحا و تحذيرا و هجرا، فأحدثوا أخاديد عميقة واسعة بين مشايخ و أبناء المنهج الواحد[12] .

ب – فئة المرجئة العصر : و هؤلاء و إن إنتسبوا إلى الدعوة السلفية فهم في مسائل الإيمان و ما يتعلّق بها أبعد من منهج السلف الصالح ، و سيأتي إن شاء الله الحديث عنها.

* تيار السلفية الإصلاحية : و هذا برز في مطلع التسعينات من القرن الميلادي الماضي ، و بالضبط عند غزو العراق الكويت ، و إستعانة السعودية بالأمريكان ، ظهرت معارضة سياسية سلفية ، مبتغاها إصلاح الحكم ، وسيلتها في ذلك وسيلة الأحزاب السياسية المعاصرة ، فهذا التيار من حيث منهجه العلمي العام ينتمي إلى التيار السلفي ، أمّا من حيث الميدان والعمل الحركي فهو إلى منهج الإخوان أقرب منه إلى منهج السلف الصالح رضي الله عنهم .

و يدخل في هذا التيار :

أ- مدرسة الفكر القطبي : نسبة إلى الأستاذ محمد قطب رحمه الله تعالى .
ب- مدرسة الفكر السروري : نسبة إلى الشيخ محمد سرور زين العابدين .

♦ تيار السلفية الجهادية : و هذا التيار السمة البارزة فيه هو الجهاد في سبيل الله ، أي انّه إختار مشروع الجهاد فيما يجب فيه الجهاد ، فالجهاد عند هذه الفئة هو مشروع إذا توفّرت شروطه و إنتفت موانعه ، بل قد يرقى إلى أن يكون واجبا على حسب الأحوال ، فليس كلّ من حمل السلاح هو ينتمي إلى هذا التيار ، كما أنّه ليس كلّ من إنشغل بالعلم هو ينتمي إلى السلفية التقليدية ، و لا كلّ من إنشغل بالسياسة هو ينتمي إلى السلفية الإصلاحية ، فكذلك ليس كلّ من رفع السلاح هو ينتمي إلى السلفية الجهادية ، فهذه التيارات الثلاثة منهجهم العام في التلقي و الإستدلال هو إتباع السلف الصالح ، فلا نجعل من كان منهجه العام في التلقي و الإستدلال إتباع الرأي أو العقل أو الذوق في نفس الخانة مع من جعل منهجه إتباع السلف لمجرّد الإنشغال بالعلم أو السياسة أو رفع السلاح ، فلابدّ من التركيز على منهج العام لكلّ جماعة .

فهؤلاء جميعا (أي السلفية التقليدية و السلفية الإصلاحية و السلفية الجهادية) مقصودون بهذه التهمة من فئات من الناس لاسيما من بعض الحركات الإسلامية ، و المدارس الفكرية ، فمثلا :

[12] - وفّقني الله عزّ في علاه الردّ على هذه الفئة الباغية في رسالة : نريد ان يسكت الّذي لا يعرف ، و في رسالة : السلفية منهج أفهام و أخلاق ، لا منهج سباب و شقاق ، و غيرها .

- العالمان الكبيران عبد الرحمن بن جبرين حفظه الله ، و بكر أبو زيد رحمه الله ، كلّ منهما من التيار السلفية التقليدية ، إلاّ أنّهم و غيرهم متّهمون بأنّهم من التكفيريين.
- الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي و غيره متّهم بهذه التّهمة رغم أنّه من السلفية الإصلاحية .

و العجيب من تصرّف التيار السلفي الإصلاحي عموما و بعض أفراد التيار السلفي التقليدي ، ففي عوض أن يُظهروا للناس الحق و يدفعوا الباطل ، لجأوا إلى دفع التهمة عنهم و إلصاقها بالتيار السلفي الجهادي ، مع أنّ عقيدة و مبادئ العامّة لكلّ هذه التيارات الثلاثة واحدة ، لاسيما في مسائل المعتقد ، الخلاف بينهم في آليات العمل ، و إسقاط الأحكام على الأعيان ، و كلّ هذا لا يرقى في مجمله أن يكون من خلاف التضاد الّذي يلزم منه التنابز بالألقاب .

Al-Qayrawan

فصل: فرية قديمة جديدة

إنّ أعظم ما يُمارسه أهل الأهواء ضدّ أهل الحق بعد قيام حجة أهل الحق عليهم ، الإفتراء ، و إفتراء أهل الباطل ضدّ أهل الحقّ قديم ، و في بابنا الفرية المعروفة هي أنّ هؤلاء المقصودون من التجريح و التشهير يكفّرون الأمّة ، و يكفرون كلّ من خالفهم ، و هذه الفرية أطلقت على كلّ من تصدّى للباطل و صدع بالحق ، و من هؤلاء :

- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، فلمّا وقف ضدّ مبتدعة زمانه لم يجدوا حيلة إلاّ الإفتراء عليه بالبهتان ، و من هذه الفرى ، أنّه يكفّر عموم الناس .

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الخلاّل في كتاب السُنّة قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل : بلغني أنَّ أبا خالد وموسى بن منصور وغيرهما يجلسون في ذلك الجانب فيعيبون قولنا (أي القول بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق)، ويدّعون أنَّ هذا القول: أنَّه لا يُقال مخلوق وغير مخلوق، ويعيبون من يكفّر، ويقولون إنّا نقول بقول الخوارج، ثم تبسّم أبو عبد الله كالمغتاظ؛ثمّ قال: هؤلاء قوم سوء.

- شيخ الإسلام إبن تيمية حيث إفترى عليه المبطلون لمّا ألّف رسالته القيّمة العقيدة الواسطية ، فقالوا عنه أنّه حكم من لم يعتقد عقيدته أنّه من الهالكين .

قال[13] شيخ الإسلام : قولنا : و من أصول الفرقة الناجية : أنّ الإيمان و الدّين قول و عمل ، يزيد و ينقص ، قول القلب و اللسان ، و عمل القلب و الجوارح .

قالوا : فإذا قيل : إنّ هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك ، مثل أصحابنا المتكلّمين ، الّذين يقولون : إنّ الإيمان هو التصديق ، و من يقول : إنّ الإيمان هو التصديق و الإقرار ، و إذا لم يكونوا من الناجين ، لزم أن يكونوا هالكين . إنتهى

هكذا دائما يحكمون على الغير بإستلزامات إستلزموها هم ، و معروف أنّ لازم القول ليس بقول ما لم يقرّه المعنيّ بالأمر .

قال[14] الإمام الشافعي رحمه الله : من نسب إلى الساكت قولا فقد كذب عليه . إنتهى

بل هكذا يُتهمّ أهل الحق بلوازم أقوالهم أو أفعالهم .

[13] - مجموع الفتاوى (2 / 3 / 115)
[14] - بواسطة الحاوي الكبير (1 / 26)

قال[15] شيخ الإسلام: لازم المذهب لا يجب أن يكون مذهبا،بل أكثر النّاس يقولون أقوالا و لا يلتزمون لوازمها . إنتهى

يوضح هذا الشيخ ابن عثيمين حيث قال[16]: لا يُنسَب هذا اللازم للقائل، لأنّه يحتمل إذا ذُكِرَ له أن يلتزم به، أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذُكِرَ له فتبيّن له لزومه وبطلانها أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم، ولو ورد هذان الإحتمالان لا يمكن الحكم بأنّ لازم القول قول. فإن قيل : إن كان هذا اللازم من قوله، لزم أن يكون قولا له، لأنّ ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم. قلنا (الكلام للعلامة) : هذا مدفوع بأنّ الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن التلازم، فقد يغفل أو يسهو أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازم ذلك . إنتهى

أعود لمناظرة شيخ الإسلام مع معارضيه ، فلما قالوا ما قالوه ، قال[17] شيخ الإسلام : ...ثمّ قلتُ لهم : و ليس كلّ من خالف في شيء من هذا الإعتقاد أن يكون هالكا ، فإنّ المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه ، و قد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، و قد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ، و إن كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له و غير ذلك ، فهذا أولى ، بل موجب هذا الكلام أنّ من إعتقد ذلك نجا في هذا الإعتقاد ، و من إعتقد ضدّه فقد يكون ناجيا ، و قد لا يكون ناجيا ، كما قال : من صمت نجا . إنتهى

⊡ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، لمّا أظهر الله على يديه التوحيد بعدما إنتشر الشرك في زمانه لم يسع لمخالفيه إلاّ أن يتّهموه بأنّه يكفر الأمّة و يبيح قتلهم .

قال[18] الشيخ رحمه الله تعالى : نسبوا إلينا أنواع المفتريات ، فكبرت الفتنة ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، فمنها : إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يغتر به ، ومنها : ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلاّ من اتبعني ، وأنّي أزعم أنّ أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجبا كيف يدخل هذا عقل عاقل ، وهل يقول هذا مسلم ؟

إنّي أبرأ إلى الله من هذا القول الّذي ما يصدر إلاّ من مختل العقل فاقد الإدراك ، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة . إنتهى

---

[15] - مجموع الفتاوى 6 / 460

[16] - **" القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى" للعلامة ابن عثيمين (ص : 12 – 13) ، الدار السلفية- الجزائر.**

[17] - مجموع الفتاوى (2 / 3 / 116)

[18] - (الدرر السنية 80/1)

و قال[19] : القول أنّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الّذين يصدّون عن هذا الدّين،ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم . إنتهى

إنّ إتّهام أهل الحق أنّهم يكفّرون كلّ من خالفهم لمجرد المخالفة هو إتّهام قديم كما رأيتَ ، و لا ينبغي أن نُجري الخلاف في مجرّد التكفير لأنّه لا دين فضلا أن يكون دين الإسلام دون تكفير لمن يستحقّ التكفير لو كان الخصوم يعقلون ، و نصوص الكتاب و السنّة حافلة بذلك ، إنّما الخلاف ينبغي أن يكون محصورا في من ثبت أنّهم كُفّروا ، هل هؤلاء المكفَّرين يستحقون أن يُحكموا بالتكفير أم لا ؟ ، و طبعا لا بدّ أن يكون المرجع هو كتاب الله و سنة نبيّه عليه الصّلاة و السّلام و على فهم سلفنا الصالح ، لا مجرّد عواطف و أمانيّ ، هذا هو محكّ البحث لو كان الخصوم منصفون ، أمّا الصياح بأنّ هؤلاء يُكفِّرون فهذه سذاجة و جهل .

و إنّ العدل و الإنصاف يلزمان المسلم فضلا عن العالم و الداعية : أنّه من يريد إتهام غيره أن يقيم على دعواه بيّنة ، فالبيّنة على المدّعي و اليمين على من انكر ، بأن يُظهر المصدر الّذي فيه كفّر المعنيون الأمّة سواء من كتاباتهم أو مسموعاتهم ، لكن هيهات ، هيهات أن يظفروا بهذا لأنّه بكلّ بساطة هذا الزعم هو محض إفتراء و بهتان ، بل أزيد كلمة أنّ من يُتهمون بأنّهم يكفّرون الأمّة هم والله أحرص الناس على ضبط باب التكفير ، و هم أكثر الناس ردّا على غلاة التكفير .

لا أعني انّه لا يوجد من يُكفر الأمّة بل فيه شرذمة ممّن وقع في هذا الغلو و الجهل المركب ، لكن ليسوا ممّن نعنيهم بهذا الكتاب ، بل هؤلاء الغلاة لم نجد من حاورهم في هذا العصر و ردّ على باطلهم و ردّ كثير منهم إلى جادّة الصواب إلاّ في الغالب من يُرمون بهتانا أنّهم يُكفّرون الأمّة ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

و حتّى نذكّر الجميع أنّ الغلوّ في التكفير داخل جسم أهل السنة و الجماعة في العصر الحديث إنّما ظهر داخل التيار الإخوان المسلمين ، و مع ذلك فإنّنا لا نُحمّل الإخوان أخطاء و جهل هذه الجماعة المتطرّفة ، و طبعا أقصد جماعة الهجرة و التكفير ، و سيأتي الحديث عنها إن شاء الله .

و الّذي يُحزن القلوب أكثر أنّ من الدعاة من سار على هذا الطريق المظلم من الإفتراء على الغير بدون تثبّت و لا بيّنة ، حتّى ذهبوا إلى أكثر من ذلك هو إتّهام أهل الجهاد بهذه التهمة الباطلة ، و هنا أحبّ أن أنقل كلمة طيّبة من رجل طيّب نحسبه شهيدا و الله حسيبه أقصد الشيخ أبو محمد يوسف العيري رحمه الله تعالى ، فلمّا عاد الشيخ من الجهاد البوسني و بعد أحداث سبتمبر و سقوط دولة طالبان صار رحمه الله من المطلوبين لدى النظام السعودي بأمر من أمريكا ، فلم يجدوا ما يتّهمون الشيخ به إلاّ هذه الفرية الرخيصة أقصد أنّه تكفيريّ ، فكتب رسالة يوضّح فيها ما إفتراه عليه من لا يخشى الله عزّ في علاه ، فقال[20] رحمه الله : ...كما أؤكد

[19] - الدرر السنية 100/1

[20] - رسالة بعنوان : من يوسف العيري إلى عموم المسلمين ، بتاريخ : 24 / 03 / 1424 هج ، أي قبل وفاته رحمه الله تعالى بثمانية أيّام فقط .

أيضاً على ما قاله أخي علي[21] في رسالته ، بأنّنا لم نرفع راية الجهاد لنقتل المؤمنين ، إن العقول السليمة تنفي هذه التهمة عنا فضلاً عن الأدلة الشرعية ، إذ كيف نخرج ونكابد المشاق ونعالج المخاطر والفتن ، نخرج من بلادنا ومن رغد العيش والسلامة ، لنصل إلى بلاد الأفغان والشيشان والبوسنة والصومال وكشمير وغيرها من ديار الإسلام ، لماذا ذهبنا إلى هناك وتجاوزنا كلّ المشاق والمخاطر ؟ لقد ذهبنا إلى هناك لندافع عن أعراض المسلمين وعن دينهم وعن أمنهم ونحفظ أرواحهم ونضع دماءنا دون دمائهم ، فهل يعقل أن نفدي الأبعدين بدمائنا ، ونضع نحورنا دون نحورهم ، ثمّ نقرر ترويع الأقربين من أهلنا وسفك دمائهم ؟!! هذا لا يقبله عقل سليم ، فضلاً عن مسلم يعرف شرع الله وأدلة الكتاب والسنة ، إنّنا لسنا من أهل الضلال والزيغ حتّى نوجه سلاحنا لأيّ مسلم ، فإن كان يزعم زاعم بأنّنا نكفر عموم المسلمين ونستبيح قتلهم ، فنعوذ بالله من هذا الضلال ، ولو كنّا نكفر عموم المسلمين لماذا ذهبنا للدفاع عن إخواننا في البوسنة أو في الشيشان الّذين لا يعرفون من الإسلام إلاّ الشهادة ؟ ، فإن كنّا نفدي بدمائنا من لا يعرف من الإسلام إلاّ الشهادة ، ونحكم بإسلامه ونرى أنّه من الواجب علينا أن نفديه بدمائنا ، أيعقل أن نفدي بدمائنا من نراه كافراً ؟ ثم نقتل مسلماً يعيش في مجتمع يعمل بأصول الدّين كلّها ؟ ، نحن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله ، ومنهجنا في ذلك منهج أهل السنة والجماعة ولسنا بحاجة إلى عرضه فهو معلوم لكلّ مسلم. إنتهى

[21] - يقصد الشيخ علي بن عبد الرحمن الغامدي رحمه الله تعالى ، فهو كذلك إتّهم بنفس التّهمة لنفس السبب ، حسبنا الله و نعم الوكيل .

فصل: ما أسباب هذه التهمة ؟

بعدما تعرّفنا على المقصودين بهذه التّهمة، نسأل : لماذا التيار السلفيّ يُتهم بأنّه تيار تكفيريّ ؟

و الأسباب عند التّأمّل تنقسم إلى قسمين ، من حيث الإجمال و من حيث التفصيل

/ أمّا من حيث الإجمال :

فالمتتبع لكتب العقائد يلحظ أنّ هذه التهمة أُلصقت بكلّ من أدخل الأعمال في مسمّى الإيمان ، من طرف مدرسة أخرجت الأعمال عن مسمّى الإيمان و أقصد المدرسة الأشعرية و الكلابية ، من هؤلاء : الكمال بن الهمام[22] ، و اللّقاني[23] ، و محي الدّين عبد الحميد[24] ، و غيرهم ، فهؤلاء سوّوا بين عقيدة أهل السنة من جهة و بين المعتزلة و الخوارج من جهة أخرى ، إذ كلّهم يُدخلون الأعمال في مسمّى الإيمان ، إلاّ أنّهم تغافلوا عن الفوارق الجوهرية بين مدرسة أهل السنة من جهة و بين مدرستي المعتزلة و الخوارج من جهة أخرى ؛ فأهل السنة و إن جعلوا الأعمال من مسمّى الإيمان إلاّ أنّهم فرّقوا بين آحاده ، فجعلوا من الأعمال ما هو شرط صحّة في الإيمان ، و منها ما هو شرط كمال الواجب في الإيمان ، و منها ما هو شرط كمال المستحب في الإيمان ، بخلاف المعتزلة و الخوراج الّذين جعلوا كلّ الأعمال هي من شرط صحّة في الإيمان .

هذا من جهة ، و من جهة أخرى أنّ أهل السنة جعلوا الإيمان يتبعض أي يزيد و ينقص ، بخلاف المعتزلة و الخوراج الّذين جعلوا الإيمان شيء واحد إذا زال بعضه زال كلّه موافقين بذلك قول المرجئة .

كلّ هذا تغافل عنه المخالفون ، فلا غرابة بعد ذلك أن تسمع هذه التمتمات و هذه التهم على أهل السنة ممّن صاروا يُعرفون اليوم بمرجئة العصر ، حيث وافقوا أسلافهم في المعتقد ، كما وافقوهم في رميهم بهذا اللقب لمخالفيهم .

هذا من حيث الإجمال[25] .

أمّا من حيث التفصيل : حتّى نقف مع أهمّ المسائل الّتي من اجلها صار هذا اللقب ، لابدّ من إدراك بعض الحقائق العلمية .

---

[22] - المسايرة على المسامرة
[23] - إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد
[24] - في تحقيقه إتحاف المريد
[25] - و لله الحمد كنتُ قد فصّلتُ مباحث الإيمان في رسالة بعنوان : " رسالة الإيمان و الكفر " ، يسّر الله طبعها .

فصل: ما يجب أن يُعلم[26]

أوّلا : ما هو التكفير ، و هل التكفير منهج بدعيّ ؟

قال[27] الشيخ صالح الفوزان : التكفير للمرتدّين ليس من تشريع الخوارج و لا غيرهم ، و ليس فكرا ، و إنّما هو حكم شرعيّ حكم به الله و رسوله على من يستحقّه بإرتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو الإعتقادية أو الفعلية الّتي بيّنها العلماء في باب أحكام المرتدّ و هي مأخوذة من كتاب الله و سنّة رسول الله عليه الصّلاة و السّلام . إنتهى

فمردّ التكفير هو لكتاب الله و لسنّة رسول الله عليه الصّلاة و السّلام لا إلى الهوى و التشهي .

قال[28] شيخ الإسلام : فلهذا كان أهل العلم والسنّة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأنّ الكفر حكم شرعيّ ، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك، وزنى بأهلك ، ليس عليك أن تكذب عليه ، ولا أن تزني بأهله ، لأنّ الكذب و الزنا حرام الكفّ لله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله فلا يُكفر إلاّ من كفره الله و رسوله .إنتهى .

وقول الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى : بإرتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو الإعتقادية أو الفعلية . إنتهى

هو تقرير لمذهب السلف أنّ الكفر قد يكون بأمر يعتقده المرء ، و قد يكون بقول يتلفظ به المرء ، و قد يكون بعمل يفعله المرء ، و هذا خلاف لما عليه مذهب الإرجاء في حصر الكفر في الجحود و التكذيب .

ثانيا : فرق بين التكفير المطلق و التكفير المعيّن .

فالتكفير المطلق : هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الإعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه على سبيل الإطلاق بدون تعيين ، فيقال مثلا : من قال كذا ، أو فعل كذا فهو كافر ، وهذا التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه.

وتكفير المعين : فهو الحكم على المعين بالكفر لإتيانه بأمر يناقض الإسلام وهذا يختلف بإختلاف المسألة التي وقع فيها كأن تكون ظاهرة أو خفية ، فلا تلازم بين من وقع في الكفر ووقوع الكفر عليه دائما .

ثالثا : لا تكفير للمعيّن إلاّ بعد إنتفاء الموانع و توفّر الشروط .

---

[26] - المسائل في هذه الفقرة كلّها و لله الحمد شرحتها في كتاب رسالة في الإيمان و الكفر .
[27] - من كتاب التحذير من الإرجاء فتاوى صادرة من اللجنة الدّائمة (ص : 32)
[28] - في الرد على البكري{257}

قال[29] شيخ الإسلام فيمَن قال ببعض مقالات الباطنيَّة الكفريَّة: "فهذه المقالات هي كُفر؛ لكن ثبوت التكفير في حقِّ الشخص المعيَّن، موقوفٌ على قيام الحجة التي يَكْفُر تاركها، وإن أطلق القول بتكفير مَن يقول ذلك، فهو مثل إطلاق القول بنُصُوص الوعيد، مع أنَّ ثُبُوت حكم الوعيد في حقِّ الشخص المعيَّن، موقوفٌ على ثبوت شروطه، وانتفاء موانعه؛ ولهذا أطلق الأئمة القول بالتَّكفير، مع أنهم لم يحكموا في عين كلِّ قائلٍ بِحُكم الكفار . إنتهى

رابعا : من البدع و المحدثات القول بعدم تكفير المعيّن : فقد شاع عند البعض أنّ تكفير المعيّن لم يثبت عن السلف ، و هذا كذب و إفتراء على الله و على رسوله و على سلف الصّالح ، بل القول بعدم تكفير المعيّن عند إرتكابه ناقضا من نواقض الإسلام و قد توفرت الشروط و إنتفت الموانع هو البدعة .

قال[30] العلامة أبو بطين : ما سألتَ عنه ، من أنَّه هل يجوز تعيين إنسان بعينه بالكفر، إذا ارتكب شيئاً من المكفِّرات ، فالأمر الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع العلماء على أنَّه كفرٌ ، مثل الشرك بعبادة غير الله سبحانه ، فمن إرتكب شيئاً من هذا النَّوع أو جنسه ، فهذا لا شكَّ في كفره .

ولا بأس بمن تحققت منه أشياء من ذلك أن تقول كفر فلان بهذا الفعل[31] ؛ ويبيّن هذا أنّ الفقهاء يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم مرتدا كافرا ويستفتحون هذا الباب بقولهم : من أشرك بالله فقد كفر وحكمه أنّه يستتاب فإن تاب وإلاّ قتل ، والإستتابة إنّما تكون مع معين . إنتهى

سئل الشيخ صالح الفوزان سؤالان في هذه المسألة[32]

الأوّل ، قال السائل : ماهي الشروط التي يجب أن تتوفر في صحة الحكم على المعيّن بالكفر ؟ وما هي موانع ذلك ؟

الجواب : من نطق بالكفر ، أو فعل الكفر يحكم عليه بالكفر ويعامل معاملة الكفار والمرتدين ، إنما دلّ الظاهر .

نحكم عليه بما ظهر من قول أو فعل ونعامله معاملة الكفار ، لا نغسّله ولا نصلّي عليه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ، إذا مات على مقالة الكفار أو فَعل فعل الكفار أو أظهر إعتقاد الكفار نحكم عليه الكفر وهو معين ، نقول فلان قال كفر فهو كافر

---

[29] - بغية المرتاد في الرَّد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص 353، 354)
[30] - مجموعة الرسائل والمسائل ، 1 / 657،(في رسالة له في تكفير المعين الذي أشرك بالله ولو جاهلا)
[31]- قال الشيخ علي الخضير : لاحظ علقه بالفعل و أجاز إجراء الاسم عليه .
[32] - قرص لفضيلة الشيخ صالح الفوزان بعنوان : شرح العقيدة السيفارينية الدرس الثالث الوقت :1:10:27 ، ساعة وعشرة دقائق وسبعة وعشرون ثانية .

الثاني ، قال السائل : هل لكلّ شخص أن يكفر معين كائن من كان ؟

الجواب : إذا صدر منه ما يقتضي التكفير، من قول أو فعل أو إعتقاد يكفر،بموجب ما صدر منه حتّى يتوب إلى الله عزوجل .

لماذا يقتلون المرتد ؟ إذا صدر منه ما يقتضي الردّة ، إستتابوه فإن تاب وإلاّ قتلوه ، لماذا يقتلونه ؟ إلاّ أنهم حكموا عليه لأنّه كافر عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :" من بدّل دينه فاقتلوه".

المرجئة يقولون لازم نعرف القلب ، ولو قال ولو فعل ما يتوفر حتّى يعرف ، هذا قول المرجئة وما قول أهل السنة ، قلوب لا يعلمها إلاّ الله ، نحن نحكم على الظاهر.إنتهى

و مع ذلك نقول لابدّ من التأكّد على إنفاء الموانع و توفّر الشروط كما مرّ تقريره

يقول[33] الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : يجوز لنا أن نطلق على شخص بعينه أنّه كافر ، إذا تحققت فيه أسباب الكفر ، فلو أننا رأينا رجلاً ينكر الرسالة، أو رجلاً يبيح التحاكم إلى الطاغوت ، أو رجلاً يبيح الحكم بغير ما أنزل الله ، ويقول : إنّه خير من حكم الله بعد أن تقوم الحجة عليه ، فإنّنا نحكم عليه بأنّه كافر، فإذا وجدت أسباب الكفر وتحققت الشروط وانتفت الموانع فإنّنا نكفر الشخص بعينه ونلزمه بالرجوع إلى الإسلام أو القتل. إنتهى

خامسا : الحكم على الأعيان أمر تطبيقي تبعي له شروطه و ضوابطه ، و يجوز الخلاف فيه مادام إجتهاديّا . فلا يلزم أن يكون أحدهم كافرا عندك أن يكون كافرا عند غيرك ، فقد يقع الخلاف في كون مسألة معيّنة من نواقض الإسلام أم لا ، شريطة أن يكون هذا الخلاف معتبر ، و قد يكون الخلاف في التحقق من توفرالشروط وإنتفاء الموانع عند إنزال الحكم على المعيّن .

سادسا : ليس اللوم فيمن كفّر المعيّن إذا كان ذلك بضوابط شرعية ، بل اللّوم فيمن كفّر أو بدّع أو ضلّل بغير وجه حقّ ، أو من شهد بإسلام من وقع في الكفر مع تحقق الشروط و إنتفاء الموانع كما هو مذهب المرجئة .

هذه بعض المسائل أردتُ تأكيدها قبل الشروع في المقصود . و الله الهادي إلى سواء السبيل .

[33] - مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين 218/2

فصل: أسباب التّهمة على وجه التفصيل:

المتتبع لبعض مصادر هذه التهمة على السلفيين يجد أنّ أسبابها تكاد تكون محصورة في مسائل علمية معيّنة ، أقف معكم مع كلّ مسألة لنعرف وجه الحقّ فيها بعون الله :

أولا: مسألة حكم ترك الصلاة

أوّلا : نسأل المخالفين والمرجفين هل هذه المسألة من المسائل المتفق عليها بين علماء أهل السنّة أم هي من المسائل الّتي وقع فيها الخلاف ؟ .

لا ريب أنّ الجواب سيكون منهم أنّها من المسائل الخلافية بين علماء أهل السنّة.

أقول حينئذ : هل يجوز أن يقع التصنيف على أساس هذه المسألة، و إبخاس الناس أشياءهم ، والتحذير منهم ، و نبزهم بالألقاب ؟

لم يكن من هدي أسلافنا الصالحين أن يقع مثل هذا التنابز في مسائل الإجتهادية المعتبرة .

ثانيا : و على وفق الإتفاق و منهج الّذي سطّرته آنفا ، أن نجمع أقوال أهل العلم من أهل السنّة في المسألة و أدلّتهم عليها .

فعند جمع الأقوال لاحظتُ أنّ المسألة كانت من المسائل المتفق عليها بين علماء السلف المتقدّمين ، و الخلاف إنّما وقع عند المتأخرين .

ما جاء في عصر الصحابة :

روى الترمذي في جامعه عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله عليه الصّلاة و السّلام لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر غير الصّلاة.

و هذا إجماع من الصحابة ، و هو حجّة قاطعة و دليل محكم و مستنده الأدلّة النبويّة الصحيحة ، و من شكّ في هذا الإجماع نقول له اثبت قولا واحدا عن أحد الصحابة يقول خلاف هذا النقل ، أمّا من جاء بعد الصحابة فسيأتي تقريره .

و عبد الله بن شقيق : ثقة ، أدرك عمر بن الخطاب ، و عثمان بن عفان ، و علي بن أبي طالب ، و عائشة أمّ المؤمنين ، و أبا ذر الغفاري ، و عبد الله بن عباس ، و عبد الله بن عمر، و أبا هريرة .

هذا عن مجمل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، أمّا عن آحادهم :

- **عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**

روى الآجري في كتابه الشريعة عن المسور بن مخرمة قال لمّا طعن عمر رضي الله عنه ، أنّه دخل عليه هو و إبن عباس فلمّا أصبح أفزعوه ، فقالوا : الصّلاة . قال : نعم ، و لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصّلاة ، فصلّى و الجرح يثعبُ دما . و أصل هذا الأثر رواه مالك في الموطأ مسندا .

- **علي بن أبي طالب رضي الله عنه :**

روى محمد بن نصر عن معقل بن معقل قال : أتى رجل عليا و هو في الرّحبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ما ترى في المرأة لا تصلّي ؟ فقال : من لم يصل فهو كافر .

- **عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :**

عن إبن مسعود : أنّ من تركها – أي الصّلاة – فقد كفر .

و روى إبن نصر عنه أنّه قال : من لم يصلّ فلا دين له .

- **عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما :**

روى إبن نصر عن إبن عباس أنّه قال : من ترك الصّلاة فقد كفر .

هذا عن عصر الصحابة ، و معلوم من قواعد الأصول أنّ قول الصحابي الواحد حجّة ما لم يكن ثمّة مخالف من صحابي آخر ، مسألتنا هذه فيها إتفاق الصحابة أو على الأقل من وقفنا نحن على أقوالهم ، أليس في إتفاقهم هذا حجّة قاطعة ؟.

شبهة و الرّد عليها :

لعلّ البعض يقول : إنّما المقصود من قول عبد الله بن شقيق تركه كفر أي كفر دون كفر .

الجواب : إذا كان المقصود من كلمة الكفر هو كفر دون كفر ، هل هذا الحكم يختصّ فقط بمن ترك الصّلاة ؟ أليس ترك الزكاة كفر دون كفر ، و كذا ترك الصيام و الحج و غيرهما ؟! إذا في إختصاص الصّلاة بذاك الحكم يدلّ أنّه الكفر المخرج من الملّة.

و الجواب ذاته لو قيل أنّ الكفر فيمن ترك الصّلاة جحودا .

أقول : و هل هذا خاصّ بالصّلاة ؟، المسألة فيمن ترك الصّلاة ،لا فيمن يجحد وجوب الصّلاة ، فمن جحد وجوب الصّلاة فهو كافر و لو صلّى ، و كذا من جحد الزكاة و الصّيام فهو كافر و لو زكّى و صام .

هذا عن عصر الصّحابة و إنّنا لا نعلم خلافا بينهم أنّ من ترك الصّلاة فقد كفر .

ما جاء في عصر التّابعين :

أمّا عصر التابعين ، روى إبن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصّلاة

قال أيّوب السختياني : ترك الصّلاة كفر ، لا يختلف فيه .

و أيوب السختياني هو من الأئمة في الحفظ و الإتقان ، و ممّن أدركهم الإمام و أخذ منهم أبو قلابة ، و القاسم بن محمد ، و عطاء بن أبي رباح ، و عكرمة ، و الأعرج ، و عمرو بن دينار ، و أبو رجاء العطاردي ، و أبو عثمان النهدي ، و حفصة بنت سيرين ، أمّا تلامذته : الأعمش و هو من أقرانه ، و قتادة و هو من شيوخه ، و السفيانان و الحمادان ، و شعبة ، و سعيد بن أبي عروبة ، و مالك ، حتّى أنّ الإمام مالك لم يرو عن أحد من أهل العراق إلاّ عن أيوب السختياني ، قال الإمام مالك : كان – أي أيوب – من العالمين العاملين الخاشعين .

و قال أيضا : كتبتُ عنه لمّا رأيتُ من إجلاله للنبيّ عليه الصّلاة و السّلام .

فمثل هذا الإمام لمّا ينفي الخلاف في مسألة ترك الصّلاة ، ألا يؤخذ قوله بعين الإعتبار؟

و ممّا يؤكّد هذا الإتفاق:

ما رواه محمد بن نصر عن إسحاق بن راهويه قال: أنّ تارك الصّلاة كافر و كذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبيّ عليه الصّلاة و السّلام إلى يومنا هذا.

فإسحاق بن راهويه يحكي كذلك الإتفاق بين أهل العلم من لدن أصحاب النبيّ عليه الصّلاة و السّلام إلى وقته و كان قد توفي رحمه الله سنة 238 هج ، و ممن أخذ عنهم : سفيان بن عيينة ، و سليمان بن حرب ، و شبابة بن سوار ، و أبو حيوة شريح ، أبو عاصم الضحاك النبيل ، عبد الله بن المبارك ، عبد الله بن وهب ، عبد الرحمن بن مهدي ، عبد الرزاق بن الهمام ، عبد العزيز الدراوردي ، أبو نعيم الفضل بن دكين ، فضيل بن عياض ، محمد بن جعفر غندر ، معاذ بن هشام الدستوائي ، معتمر بن سليمان ، أبو الوليد الطيالسي ، وكيع بن الجراح ، الوليد بن مسلم ، وهب بن جرير ، يحي بن سعيد القطان ، يزيد بن هارون و غيرهم.

إذًا إلى هذا الزمان أي إلى القرن الثالث لم يكن هناك من المخالفين للمسألة على الأقل من منظور الإمامان أيوب السختياني ، و إسحاق بن راهويه و كلاهما من أهل الثبت و الحفظ و الإتقان .

بل تأمّل إلى ما قاله[34] الإمام محمد بن نصر المروزي : ذكرنا الأخبار المروية عن النبي في إكفار تاركها، وإخراجه إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها. ثم جاءنا عن الصحابة مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك. ثم اختلف أهل العلم بعد ذلك. إنتهى.

ومحمد بن نصر المروزي قال[35] فيه الإمام الخطيب البغدادي : كان من أعلم الناس بإختلاف الصحابة و من بعدهم في الأحكام . إنتهى

ما بعد عصر التّابعين :

أشهر الأئمّة بعد عصر التّابعين هم أئمّة المذاهب الأربعة ، و قد شاع عند الكثير أنّ أئمّة المذاهب الأربعة يقولون بعدم تكفير تارك الصّلاة ، و هذا تحقيق المسألة

– الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

قال[36] أبو الوليد الباجي في كتابه الماتع المنتقى شرح الموطأ : لا تؤكل ذبيحة المرتد وإن إرتدَّ إلى اليهودية أو النصرانية رواه إبن حبيب ، قال : ولا تؤكل ذبيحة من يدَّع الصلاة ، ولا ذبيحة من يضيِّعها ويعرف بالتهاون بها ، ونحا بذلك إلى أنّه إرتد ، قال : وكذلك قال لي من كاشفت من أصحاب مالك عنه في جميعه .إنتهى

من هذا الكلام يتّضح أنّ من مذهب الإمام مالك أنّ المتهاون بالصّلاة كافر ، فكيف بتاركها .

- الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

نصّ الإمام أبو جعفر الطحاوي أنّ مذهب الشافعي في تارك الصّلاة كافر ، و قد صرّح الإمام إبن كثير أنّ الشافعي يرى أنّ تارك الصّلاة كافر كما في تفسيره لقوله تعالى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصّلاة و إتّبعوا الشهوات " .

- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

و أمّا الإمام أحمد فهذا هو المشهور عنه بأنّ تارك الصّلاة كافر كما رواه عبدوس بن مالك عنه .

ملاحظة على ما جاء في كتاب نيل الأوطار :

[34] - تعظيم قدر الصلاة (2 / 925)
[35] - تاريخ بغداد (3 / 315)
[36] - [205/4]

من خلال هذا الطّرح يتّضح جليّا أنّ السلف كانوا يقولون بتكفير تارك الصّلاة و خاصّة إلى فترة عصر التّابعين ، و قد ظهر الخلاف بعدهم ، أمّا عن الأئمّة الأربعة فعلى الأقل أن نقول أنّ لكلّ عالم منهم و خاصّة الإمام مالك و الإمام الشافعي و الإمام أحمد قولان في المسألة .

و هذا الّذي وصلتُ إليه هو الّذي قرّره شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال[37] :

و تكفير تارك الصّلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة و التابعين . إنتهى

إلاّ أنّ الإمام الشوكاني ذهب إلى خلاف هذا الطرح بدون برهان منه ، و من خلال ما سبق توضيحه يظهر خطأ الإمام الشوكاني فيما قرّره .

قال[38] الشوكاني رحمه الله تعالى : و إن كان تركه لها تكاسلا مع إعتقاده لوجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد إختلف الناس في ذلك ، فذهبت العترة و الجماهير من السلف و الخلف منهم مالك و الشافعي إلى أنه لا يكفر بل يفسق ...و ذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر و هو مروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام و هو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل و به قال عبد الله بن المبارك و إسحاق بن راهويه و هو وجه لبعض أصحاب الشافعي . إنتهى

و في هذا الكلام ملاحظات :

⊡ يحكي حال كثير من النّاس و هم الّذين تركوا الصّلاة تكاسلا مع إعتقادهم لوجوبها ، مع أنّ حال الكثير هم من يصلّي و يترك ، لا من أصرّ على تركها ، كما حكى ذلك شيخ الإسلام إبن تيمية عن حال أهل زمانه كما سيأتي، و كما هو حال أهل زماننا نحن ، مع العلم أنّ الإمام الشوكانيّ رحمه الله لمّا وصف حال زمانه و بلاده اليمن خاصّة تحدّث عن ناس تركوا الصّلاة ، و رأى أنّ ترك الصّلاة كفر أكبر .

قال[39] رحمه الله تعالى : الرعايا فأكثرهم بل كلّهم إلاّ النادر لا يحسنون الصّلاة و لا يعرفون ما لا تصلح به و لا تتم بدونه من أذكارها و أركانها و شرائطها و فرائضها ، بل لا يوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة تلاوة مجزئة إلاّ في اندر الأحوال ، و مع هذا فالإخلال بها و التساهل فيها قد صار دأبهم و ديدنهم ، فحصل من هذا أنّ غالبهم لا يحسن الصلاة و لا يصلّي ، و طائفة منهم لا تحسن الصّلاة و إنّما تصلي صلاة غير مجزئة ، فلا فرق بينه و بين من تركها ، و أمّا من يحسنها

---

[37] - مجموع الفتاوى (10/ 57/20)
[38] - نيل الأوطار (1 / 1/ 291)
[39] - رسالة الدواء العاجل في دفع العدوّ الصّائل ، و هي رسالة نافعة ، و قد قام بشرحها الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله تعالى .

و يواظب عليها فهو أقل قليل ، بل هو الغراب الأبقع و الكبريت الأحمر ، و قد صحّ عن معلّم الشريعة : أنّه لم يكن بين العبد و بين الكفر إلاّ ترك الصّلاة ، فالتارك للصّلاة من الرّعايا كافر ، في حكمه من فعلها و هو لا يحسن من أذكارها و أركانها ما لا تتم إلاّ به ، لأنّه أخلّ بفرض عليه من أهمّ الفروض و واجب من آكد الواجبات ، و هو لا يعلم ما لا تصلح الصّلاة إلاّ به مع إمكانه و وجود من يعرّفه بهذه الصّلاة[40] ، و هي أهمّ أركان الإسلام الخمسة و آكدها ، و قد صار الأمر عند الرعايا هكذا . إنتهى

- تحدّث عن جماهير السلف ، و قد رأينا بالأدلّة ماذا كان عليه السلف في هذه المسألة ، و على رأسهم أصحاب رسول الله عليه الصّلاة و السّلام .
- ثمّ تكلّم عن جماهير الخلف و منهم الإمام مالك ، و الإمام الشافعي ، و رأينا أنّ لهذين الإمامين قول آخر في المسألة مخالفة لما إشتهر عنهم .

و مع ذلك فمذهب الشوكاني رحمه الله تعالى في المسألة هو تكفير تارك الصّلاة كما مرّ من كلامه .

تحرير المسألة :

بعد القرون المفضّلة بدأ القوم يحكون الخلاف في مسألة ترك الصّلاة

و هذا الخلاف الّذي نشأ بين أهل العلم له محوران ، المحور الأوّل ذهبوا إلى أنّ تارك الصّلاة ليس بكافر بناء على أدلة هي عندهم عدّوها صارفة لظاهر النصوص الدّالة على كفر تارك الصّلاة .

و أمّا المحور الثاني ذهبوا إلى أنّ تارك الصّلاة ليس بكافر بناء على أنّ الصّلاة من الأعمال ، و الأعمال شرط كمال في الإيمان عندهم ، و منه إشترطوا في كفر تارك العمل الجحود ، و هذا مذهب مرجئة الفقهاء .

إذا لابدّ أن نتأمّل هذين المحورين و نحن نناقش المخالفين .

أبدأ بأهل المحور الثاني و هؤلاء كثر في هذا العصر ، ذهبوا إلى أنّ تارك الصّلاة ليس بكافر بناء على أنّ الصّلاة عمل ، و على رأس هؤلاء في هذا الزمان العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى ، فللشيخ الألباني رسالة في حكم تارك الصّلاة ناقش فيها رحمه الله القائلين بكفر تارك الصّلاة من خلال دراسته لحديث الشفاعة ، و الّذي يتأمّل هذه الدراسة يلاحظ أنّها تتّجه في إخراج الأعمال عن مسمّى الإيمان ، فلا يكفر الإنسان بمجرد عمل حتّى يكون معه جحود ، و هذا ما صرّح به رحمه

[40] - قوله : و هو لا يعلم ما لا تصلح الصّلاة إلاّ به مع إمكانه و وجود من يعرّفه بهذه الصّلاة . إنتهى
تقرير لما عليه علماء اهل السنّة في مسألة العذر بالجهل ، فكلّ من كان متمكّنا قادرا على التعلّم و العمل ، ثمّ أعرض عن ذلك فغير معذور بجهله .

الله حيث قال[41] : فإنّ تكفير المسلم الموحّد بعمل يصدر منه غير جائز حتّى يتبيّن منه أنّه جاحد ، و لو لبعض ما شرع الله . إنتهى

إذًا مناقشة أهل هذا المحور له مجاله لأنّ حقيقة المشكلة معهم ليس في تارك الصّلاة بل في علاقة الأعمال مع الإيمان .

أمّا أهل المحور الأوّل الّذين ذهبوا إلى أنّ تارك الصّلاة ليس بكافر جمعا بين النصوص كما يقولون ، و هؤلاء من المتأخرين كما أسلفنا ، و على وفق الإتفاق المسطّر بين يدي الموضوع هو أن نلجأ في هذه المرحلة للنظر في أدلّة الفريقين في المسألة ، و الله وليّ التوفيق .

أدلّة القائلين بكفر تارك الصّلاة :

من أهمّ الأدلّة الدّالة على المراد :

1- روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قال : بين الرجل و بين الشرك و الكفر ترك الصّلاة .

و معلوم أنّ الكفر المقصود من الحديث هو الكفر المخرج من الملّة ، و هذا الحديث لا يشبه ألبتّة حديث : " سباب المسلم فسوق و قتاله كفر " رواه البخاري من طريق إبن مسعود رضي الله عنه .

قال[42] شيخ الإسلام : روى مسلم في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : " إثنان في الناس هما بهم كفر : الطّعن في النسب ، و النّياحة على الميّت " .

فقوله : " هما بهم " أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالنّاس ، فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من اعمال الكفر ، و هما قائمتان بالناس .

لكن ليس كلّ من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق حتّى تقوم به حقيقة الكفر ، كما أنّه ليس كلّ من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا حتّى يقوم به أصل الإيمان و حقيقته ، و فرق بين الكفر المعرّف باللام ، كما في قوله صلّى الله عليه و سلّم : " ليس بين العبد و بين الكفر أو الشرك إلاّ ترك الصّلاة " ، و بين " كفر " منكر في الإثبات . إنتهى

و ذلك أن الكفر المعرّف الأصل فيه أنّه الكفر الأكبر إلاّ إذا وُجدت قرينة تصرفه من الكفر الأكبر إلى الكفر الأصغر ، بخلاف " كفر " النكرة فهي لفظة محتملة .

---

[41] - (ص : 61)
[42] - إقتضاء صراط المستقيم (ص : 70)

قال[43] العلاّمة عبد اللّطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : و لفظ الظلم و الفسوق و الشرك و نحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب و السنّة ، قد يُراد مسمّاها المطلق و حقيقتها المطلقة ، و قد يُراد مطلق الحقيقة ، و الأوّل هو الأصل عند الأصوليين ، و الثاني لا يُحمل الكلام عليه إلاّ بقرينة لفظية أو معنوية ، و إنّما يُعرف ذلك بالبيان النّبوي و تفسير السنّة ، قال تعالى : " و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم . إنتهى

2- روى الإمام مالك في الموطأ عن محجن أنّه كان في مجلس مع رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، فأذن بالصّلاة ، فقام رسول الله فصلّى ، ثمّ رجع ، و محجن في مجلسه لم يصل معه ، فقال له رسول الله : ما منعك أن تصلّي مع الناس؟ ألست برجل مسلم ؟ . فقال : بلى يا رسول الله ، و لكنّي قد صلّيت في أهلي . فقال له رسول الله عليه الصّلاة و السّلام : إذا جئت فصلّ مع الناس ، و إن كنت قد صلّيت .

فقوله عليه الصّلاة و السّلام :"ما منعك أن تصلّي مع الناس؟ ألست برجل مسلم ؟ "

يدلّ أنّ من ترك الصّلاة فليس بمسلم .

3- روى الشيخان عن ابن عباس، أنّ معاذاً قال:بعثني رسول الله ﷺ قال :" إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة "..

ففيه كما أنّ الله لا يقبل صلاة بلا توحيد ، فلا يقبل زكاة بلا صلاة .

4- روى مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك الأشجعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خيار أئمتكم الذين يحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنوكم .

قال : قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة.

و جاء في الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم . وفي رواية وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلاّ أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان .

[43] - الرسائل المفيدة (ص : 21 – 22)

فإذا جمعنا بين النصين أي بين حديث عوف بن مالك و حديث عبادة بن الصامت تبيّن لنا كفر تارك الصّلاة .

5- روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله عليه الصّلاة و السّلام لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر غير الصّلاة.

و هذا إتفاق الصحابة ، و لا نعلم خلافا بينهم فهو حجّة ، لاسيما إذا كان القول الواحد منهم رضي الله عنهم حجة إذا لم نعلم له مخالف ، فكيف بالجمع؟!

ثمّ أليس هديهم أفضل الهدي ، و مذهبهم أفضل المذاهب ، أليس في مخالفة مذهبهم يوقعنا في وعيد ربّنا حيث قال : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً " .

هذه أهمّ الأدلة الّتي إستدلّ بها من يذهب إلى تكفير تارك الصّلاة .

أدلّة المانعين من التكفير :

أمّا من ذهب إلى عدم تكفير تارك الصّلاة فأهمّ ما يستدلّ به هذا الفريق حديث الشفاعة الطويل:

⊡ عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟ . قال : هل تضارّون في رؤية الشمس و القمر إذا كانت صحوا ؟ . (و في رواية : هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة ، ضوء ليس فيه سحاب) قلنا : لا . (هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ، ضوء ليس فيه سحاب ؟ قالوا : لا) ، قال : فإنّكم لا تضارّون في رؤية ربّكم يومئذ إلاّ كما تضارّون في رؤيتهما ، ثمّ قال : يناد مناد ليذهب كلّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصّليب مع صليبهم ، و أصحاب الأوثان مع أوثانهم ، و أصحاب كلّ آلهة مع آلهتهم ، حتّى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر و غُبَرات من أهل الكتاب، ثمّ يؤتى بجهنّم تعرض كأنّها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ . قالوا : كنّا نعبد عزيرا إبن الله . فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة و لا ولد ، فما تريدون ؟ .قالوا : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنّم (و في رواية : فيُشار : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنّها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار). ثمّ يقال للنّصارى : ما كنتم تعبدون ؟ . فيقولون : كنّا نعبد المسيح إبن الله. فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة و لا ولد ، فما تريدون ؟ . فيقولون : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا فيتساقطون ، حتّى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر ، فيقال لهم : ما يحبسكم و قد ذهب الناس . فيقولون : فارقناهم و نحن أحوج منّا إليه اليوم ، و إنّا سمعنا مناديا ينادي : ليلحق كلّ قوم بما كانوا يعبدون و إنّما ننتظر ربّنا . قال : فيأتيهم الجبّار في صورة غير صورته الّتي رأوه فيها أوّل مرّة ، فيقول : أنا ربّكم.(فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا فإذا أتانا ربّنا عرفناه (و في رواية : فيقولون : لا نشرك بالله شيئا ، مرّتين أو ثلاثا) ، فيأتيهم الله في

الصورة الّتي يعرفون ، فيقول : أنا ربّكم) فيقولون : أنت ربّنا ، فلا يكلّمه إلاّ الأنبياء . فيقول : هل بينكم و بينه آية تعرفونه ؟ . فيقولون : السّاق . فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كلّ مؤمن (و في رواية : و مؤمنة) ، و يبقى من كان يسجد لله رياء و سمعة ، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ، ثمّ يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنّم . قلنا : يا رسول الله ، و ما الجسر ؟ . قال : مدحضة مزلّة عليه خطاطيف و كلاليب و حسكة مفلطحة لها شوكة عُقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف و كالبرق و كالرّيح و كأجاويد الخيل و الرّكاب ، فناج مسلَّم و ناج مخدوش ، و مكدوس في نار جهنّم حتّى يمرّ آخرُهم يُسحب سحبا ، فما أنتم بأشدّ لي مناشدة في الحق قد تبيّن لكم من المؤمن يومئذ للجبّار ، و إذا رأوا أنّهم قد نجوا في إخوانهم ، يقولون : ربّنا إخواننا الّذين كانوا يصلّون معنا و يصومون معنا و يعملون معنا . فيقول الله تعالى : إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه . و يُحرّم الله صورهم على النار ، فيأتونهم و بعضهم قد غاب في النار إلى قدمه و إلى أنصاف ساقيه ، فيُخرجون من عرفوا . فيقول : إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه . فيخرجون من عرفوا ، ثمّ يعودون ، فيقول : إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من إيمان فأخرجوه . فيخرجون من عرفوا.

قال أبو سعيد : فإن لم تصدّقوني فاقرأوا : " إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة ، و إن تك حسنة يضاعفها " . فيشفع النّبيّون و الملائكة و المؤمنون ، فيقول الجبّار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيُخرج أقواما قد إمتُحشوا (و في رواية : قد إسودّوا) ، فيلقون في نهر بأفواه الجنّة ، يقال له ماء الحياة ، فينبتون في حافَتَيه كما تنبت الحِبّة في حميل السيل

(و في رواية : في جانب السيل ، ألم تر أنّها تخرج صفراء ملتوية) قد رأيتموها إلى جانب الصخرة و إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس كان أخضر ، و ما كان إلى الظلّ كان أبيض فيخرجون كأنّهم اللؤلؤ فيُجعل في رقابهم الخواتيم ، فيدخلون الجنّة ، فيقول أهل الجنّة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم و مثله معه .[44]

الشاهد من النّص :

الشاهد من النص عندهم قول أهل الجنّة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه .

[44] - أصل الرواية : - كتاب التوحيد في باب : قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة " ، رقم : 7439 . طرقه :
- كتاب الإيمان ، رقم : 22
- كتاب : التفسير ، رقم : 4581 و رقم : 4919.
- في كتاب الرقاق ، رقم : 6560 ، و رقم : 6574.

ففهموا أنّ هؤلاء لا عمل لهم أوجب لهم دخول الجنّة ، و اللفظة تفيد العموم ، فقولهم : بغير عمل عملوه ، و لا خير قدّموه . فلفظة العمل و الخير جاءت نكرة في سياق النفي ، فمنطوق الكلمة أنّهم لم يعملوا خيرا قط ، و مع ذلك فالقوم لم يأخذوا بهذا العموم ، بل قالوا بإستثناء الشهادتين ، و صرّح بذلك الحافظ إبن حجر حيث قال[45]: المراد بالخير المنفيّ ما زاد على أصل الإقرار بالشهادتين ، كما تدلّ عليه بقيّة الأحاديث . إنتهى

مع العلم أنّ الحافظ جنح إلى هذا الرأي إعتمادا منه على ما ذهب إليه في تعريف الإيمان فقال[46] : فالسلف قالوا هو إعتقاد بالقلب و نطق باللسان و عمل بالأركان ، و أرادوا بذلك أنّ الأعمال شرط في كماله . إنتهى

و هنا يتّضح الإشكال على القوم حيث خصّصوا الشهادتين من الحديث ، و ذلك بالقرائن الدّالة على إشتراط الشهادتين ، فصار النّص المستدلّ عام مخصوص ، و النصوص الّتي إستدلّ بها من يرى أنّ تارك الصّلاة كافر عامّة ، ومن القواعد المرعية أنّه إذا تعارض نصّان عامّان أحدهما لم يأت ما يخصصه بخلاف الآخر سلّط الأوّل على الثاني.[47]

فإذا إستثنينا الشهادتين بالقرائن ، فكذلك نستثني الصّلاة بالقرائن هذا هو معنى القاعدة .

ومع ذلك جاءت نصوص أخرى ، بل رواية أخرى لذات النصّ تبيّن المراد من ذلك النفي.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟. قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : هل تضارّون (و في رواية : هل تمارون 806) في القمر ليلة البدر (ليس دونه سحاب 806)؟. قالوا : لا يا رسول الله . قال : فهل تضارّون

(و في رواية : هل تمارون 806) في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنّكم ترونه كذلك يجمع الله الناس (و في رواية : يُحشر الناس 806) يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتّبعه . فيتّبع من كان يعبد الشمس الشمس ، و يتّبع من كان يعبد القمرَ القمرَ ، و يتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، و تبقى هذه الأمّة فيها شافعوها ، أو منافقوها ، شكّ إبراهيم (و في رواية : يبقى منافقوها 806) ، فيأتيهم الله (في غير الصّورة الّتي يعرفون 6573) ، فيقول : أنا ربّكم . فيقولون : (نعوذ بالله منك 6573) هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا ، فإذا جاء ربّنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته الّتي يعرفون ، فيقول : أنا ربّكم . فيقولون : أنت ربّنا . فيتّبعونه ، و يضرب الصراط (و في رواية : جسر

[45] - فتح الباري (13 / 429)
[46] - نفس المصدر (1 / 46)
[47] - أنظر التقييد و الإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح لزين الدّين العراقي

6573) بين ظهري جهنّم ، فأكون أنا و أمّتي أوّلَ من يجيزُها (و في رواية : فأكونُ أوّل من يجوز من الرّسل بأمّته 806)، و لا يتكلّم يومئذ إلاّ الرسل ، و دعوى (و في رواية : و كلام 806) الرّسل يومئذ : اللّهم سلّم سلّم . و في جهنّم كلاليب مثل شوك السّعدان ، هل رأيتم السّعدان ؟. قالوا : نعم ، يا رسول الله . قال : فإنّها مثل شوك السعدان ، غير أنّه لا يعلم قدر عظمها إلاّ الله ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقى بعمله ، و منهم المخردل أو المجازى أو نحوه (و في رواية : و منهم من يخردل ثمّ ينجو 806) ، ثمّ يتجلّى حتّى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، و أراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا(و في رواية : من كان يعبد الله 806)(و في رواية : ممّن كان يشهد أن لا إله إلاّ الله 6573) ممّن أراد الله أن يرحمه ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلاّ أثر السجود ، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيُصبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبّة في حميل السّيل ، ثمّ يفرغ الله من القضاء بين العباد ، و يبقى رجل (بين الجنّة و النار 806) مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنّة ، فيقول : أي ربّ اصرف وجهي عن النار ، فإنّه قد قشبني ريحها و أحرقني ذكاؤها . فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ، ثمّ يقول الله : هل عسيت إن أعطيتَ ذلك أن تسألني غيرَه . فيقول : لا و عزّتك ، لا أسألك غيره . و يعطي ربّه من عهود و مواثيق ما شاء ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنّة و رآها(و في رواية : و رأى بهجتها 806) سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثمّ يقول : أي ربّ قدّمني إلى باب الجنّة . فيقول الله له : ألست قد أعطيت عهودك و مواثيقك أن لا تسألني غير الّذي أُعطيت أبدا؟ و يلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول : أي ربّ . و يدعو الله حتّى يقول : هل عسيت إن أُعطيت ذلك أن تسأل غيره . فيقول : لا و عزّتك لا أسألك غيره . و يعطي ما شاء من عهود و مواثيق ، فيقدّمه إلى باب الجنّة ، فإذا قام إلى باب الجنّة انفهقب له الجنّة فرأى ما فيها من الحبرة (و في رواية : من النظرة 806) و السرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثمّ يقول : أي ربّ أدخلني الجنّة . فيقول الله : ألست قد أعطيت عهودك و مواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت . فيقول : ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقال : أي ربّ لا أكون أشقى خلقك . فلا يزال يدعو حتّى يضحك الله منه ، فإذا ضحك منه ، قال له : ادخل الجنّة . فإذا دخلها ، قال الله له : تمنّه . فسأل ربّه و تمنّى ، حتّى أنّ الله ليذكّره ، يقول كذا و كذا ، حتّى إنقطعت به الأمانيّ ، قال الله : ذلك لك و مثله معه .[48]

الشاهد :

[48] - الرّواية الأصلية : - كتاب التوحيد ، رقم : 7437 ، من طريق : عبد العزيز بن عبد الله ثنا إبراهيم بن سعد عن إبن شهاب عن عطاء بن يزيد اللّيثي عن أبي هريرة . به .
طرقه : - كتاب الأذان ، باب : فضل السجود ، رقم : 806 ، من طريق : أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد و عطاء أنّ أبا هريرة أخبرهما . به.
- كتاب الرقاق ، باب : الصراط جسر جهنّم ، رقم : 6573 ، من طريقين : من طريق أبو اليمان . به . ؛ و من طريق : محمود ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عطاء . به .

فقولهم – أي أهل الجنّة - : أدخلهم الله الجنّة من غير عمل عملوه و من غير خير قدّموه " فلابدّ أن يُفهم ذلك وفق سياق النص ، و الّذي فيه أنّ هؤلاء من أهل الصلاة بدليل الروايات الّتي تدلّ أنّهم يُعرفون بمواضع السجود : أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا(و في رواية : من كان يعبد الله)

(و في رواية : ممّن كان يشهد أن لا إله إلاّ الله) ممّن أراد الله أن يرحمه ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلاّ أثر السجود ، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيُصبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبّة في حميل السّيل .

فدلّ بذلك أنّهم من أهل القبلة ، و العبارة – لم يعملوا خيرا قط - هي من جنس نفي الإسم عن الشيء لنفي كماله و تمامه كما ذكره إبن خزيمة رحمه الله تعالى .

فلا يُفهم حينئذ بهذه الجملة إخراج الأعمال عن مسمّى الإيمان ، كما أنّه لا يُفهم من هذه الكلمة أنّ المرء ينفعه دعواه الإيمان مع تركه للأعمال ، كما لا يُفهم من هذه الكلمة أنّ تارك الصّلاة مطلقا لا يكفر ، فلا بدّ أن نعرف أنّ هذه الكلمة من إخبار رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ما سيقوله أهل الجنّة فيمن دخلوا متأخرين للجنان ، ثمّ لا بدّ أن نفهم هذه الكلمات من خلال السياق العام للحديث ، ثمّ علينا أن نفهم هذه الكلمة على وفق النصوص الأخرى لا سيما إذا كانت هذه النصوص من روايات هذا الحديث الّذي جاءت فيها هذه الكلمة ، ثمّ لا بدّ أن نفهم الكلمة على وفق فهم السلف لها الّذين إستقامت أقوالهم في مسائل الإيمان ، بهذا الأسلوب العلمي نخرج عن صنيع أهل الزيغ الّذين يتّبعون المتشابه و يتركون المحكم ، و الله وليّ التوفيق .

فرواية أبي هريرة توضح و تبيّن مراد قول أهل الجنّة في الّذين أُدخلوا الجنّة بعدما امتحشوا : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه .

فتبيّن أن عبارة : بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه . عمومها غير مراد بدليل أنّهم كانوا من أهل السجود ، و معنى العبارة تلك هو ما قاله الإمام إبن خزيمة : هي من جنس نفي الإسم عن الشيء لنفي كماله و تمامه .

تنبيه :

البحث فيمن ترك الصّلاة بالكلّية ، أو كان الغالب عليه تركها ، أمّا من يصلي و يترك فهذا لا يكفر على أصحّ الأقوال ، قال شيخ الإسلام : فأمّا من كان مصراً على تركها لا يصلي قط ، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلماً، لكن أكثر الناس يصلون تارة ويتركونها تارة ، فهؤلاء ليسوا يحافظون .إنتهى

و قال تلميذه الإمام إبن القيّم في كتابه الصّلاة : والذي يظهر في الحديث والله أعلم بمراد رسوله – يقصد بالحديث " فإن من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله " أن الترك نوعان: ترك كلي لا يصليها أبداً، فهذا يحبط العمل جميعه، وترك معين في يوم معين، فهذا يحبط عمل ذلك اليوم، فالحبوط العام في مقابلة الترك العام ، والحبوط المعين في مقابل الترك المعين .إنتهى

و بما مرّ من كلام العلماء المتقنين يظهر أنّ مسألة ترك الصّلاة لها منحيين : الأوّل من تركها بالكلّية فهذا لا خلاف فيه بين علماء القرون الأولى أنّه كافر .

قال[49] الإمام إبن القيّم : على أن نقول لا يصر على ترك الصّلاة إصرارا مستمرا من يصدق بأنّ الله أمر بها أصلا ، فإنّه يستحيل في العادة و الطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقا جازما أنّ الله فرض عليه كلّ يوم و ليلة خمس صلوات ، و أنّه يعاقبه على تركها أشدّ العقاب ، و هو مع ذلك مصرّ على تركها ، هذا من المستحيل قطعا ، فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبدا ، فإنّ الإيمان يأمر صاحبه بها ، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمر بها فليس في قلبه شيء من الإيمان . إنتهى

و المنحى الثاني فيمن يصلّي و يترك هذا الّذي إختلف العلماء فيه .

نتيجة البحث

علمنا أنّ مسألة تارك الصّلاة أقل ما يُقال فيها أنّها من المسائل الخلاف بين علماء أهل السنّة المتأخرين منهم خاصّة ، فلابدّ إذًا أن تطرح في بساط البحث و النقاش العلمي بأن نردّها إلى كتاب الله و إلى سنّة رسول الله عليه الصّلاة و السّلام و على فهم السلف الصّالح و على رأس هؤلاء السلف هم أصحاب رسول الله عليه الصّلاة و السّلام ، أمّا أن يُترك ذلك كلّه و نلجأ إلى السباب و الشقاق و الرّمي بالألقاب فهذا لم يكن من هدي أسلافنا الصّالحين .

[49] ـ كتاب الصّلاة (ص : 40)

ثانيا: مسألة حكم القوانين الوضعية

سأتطرّق إلى مسألة محدّدة و هي الحكم بالقوانين الوضعية كما نراها في واقعنا المعاصر ، و لا أتكلّم عن مطلق الحكم بغير ما أنزل الله ، و لعلّ الباحث يعرف الفرق بين المسألتين ، و ألخّصها بالقول أنّ الحكم بغير ما أنزل الله لها صور منها ما هو كفر مخرج من الملّة ، و منها ما هو كفر غير مخرج من الملّة ؛ أمّا مسألة القوانين الوضعية المعاصرة هي نوع من أنواع الحكم بغير ما أنزل الله فليكن هذا على بال حتّى لا ندخل في مهاترات لا قيمة لها .[50]

هذه القوانين الوضعية المعاصرة لم تعرفها الأمّة إلاّ في مرحلتين و هما :

الأولى : يوم غلب التتار على بعض بلاد المسلمين و حكّموا فيها ما يسمّى بالياسق و هو قانون ملفق من مجموع الديانات منها الإسلام .

و سنعرف أقوال الأئمة الذين عاشوا هذه النازلة كشيخ الإسلام ابن تيمية و المحدث الحافظ إبن كثير .

و الثاني : هي ما حصل بعد سقوط الخلافة العثمانية من تشتت بلاد المسلمين و خضوعها للقوانين الوضعية الإستخرابية و جعلها مصدرا للتحاكم و التقاضي .

إذا عرفنا هذه الحقيقة الواقعية للقوانين الوضعية ، نبدأ بالبحث عن حكم الشرع فيها على وفق المنهجية المتفق عليها سابقا ، و الله وليّ التوفيق .

أوّلا : أقوال العلماء في هذه القوانين الوضعية المعاصرة :

قبل سرد بعض أقوال أهل العلم في شأن هذه القوانين الوضعية ، لابدّ أن نعرف المقصود من هذه القوانين الوضعية ، و بإختصار أقول المقصود من القوانين الوضعية ، تلكم القوانين المناقضة لشريعة الله تعالى ، و لا نقصد القوانين الإدارية و الّتي تنظّم المجتمع أو المؤسسات بما لا يخالف شرع الله جلّ و علا .

الّذين عاصروا هذه القوانين قسمان ، قسم عاصر الياسق، و قسم عاصر القوانين المعاصرة .

أ- الّذين عاصروا الياسق : الياسق هو عبارة عن دستور كان يتحاكم إليه التتار ، ففرضوه على الأمّة الإسلامية في فترة ضعفها و الّتي لم تدم طويلا ، حيث وجد التتار مقاومة من المسلمين ، فدحروهم ، بل ما لبث حتّى دخل التتار الإسلام و رضخوا إلى شريعة الإسلام ، و لله الحمد .

و هذه كلمات بعض من عاصر الياسق :

[50] - كنتُ و لله الحمد فصلتُ مسألة الحكم بغير ما انزل الله في كتاب : شرح نواقض الإسلام ؛ و ما هو في هذه الفقرة عبارة عن تلخيص لما جاء هناك و الفضل لله وحده .

1- شيخ الإسلام إبن تيمية : قال[51] في قوله تعالى : " أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جاءكم بيّنة من ربّكم و هدى و رحمة فمن أظلم ممّن كذب بآيات الله و صدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون " الأنعام [157] .

: ذكر سبحانه أنّه يجزي الصادف عن ءاياته مطلقا سوء العذاب سواء كان مكذبا أو لم يكن ، بما كانوا يصدفون ، يبيّن ذلك أنّ كلّ من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه ، أو استكبر عن الإيمان به ، أو أعرض عنه إتباعا لما يهواه ، أو ارتاب فيما جاء به ، فكلّ مكذب بما جاء به فهو كافر .إنتهى

وقال[52] : ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أنّ من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض كما قال تعالى : " إنّ الّذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً "...إنتهى

و قال[53] رحمه الله تعالى : و الإنسان متى حلّل الحرام المجمع عليه ، و حرّم الحلال المجمع عليه ، أو بدّل الشرع المجمع عليه ، كان كافرا مرتدّا بإتفاق الفقهاء . إنتهى

و قال[54]: فمن أجاز إتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب خلعه و ألغيت بيعته و حرمت طاعته ، لأنّه في مثل هذه الحالة يستحق وصف الكفر.إنتهى

2- الإمام إبن القيّم رحمه الله تعالى ، قال[55] في تفسيره لقول الله تعالى : " فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم " : فجعل الإعراض عمّا جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، و الإلتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق ، كما أنّ حقيقة الإيمان هو تحكيمه و ارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه و التسليم لما حكم رضًى و اختيارا و محبة فهذا حقيقة الإيمان و ذلك الإعراض حقيقة النفاق . إهـ

3- الإمام إبن كثير رحمه الله تعالى ، قال[56] : فمن ترك الشرع المنزّل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء و تحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق و قدّمها عليه ، من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين . إنتهى

---

[51] - درء التعارض[65/1]
[52] - مجموع الفتاوى 524/28
[53] - مجموع الفتاوى267/3
[54] - الفتاوى المصرية (ص : 507)
[55]- مختصر الصواعق [353/2]
[56] - البداية و النهاية (13 / 119)

و تأمل إلى قوله : بإجماع المسلمين .

و قال رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالى : " أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " المائدة .

قال[57] ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلّ خير ، النّاهي عن كلّ شرّ ، و عدل إلى ما سواه من الآراء و الأهواء و الاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهلات ممّا يضعونها بآرائهم و أهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الّذي وضع لهم الياسق ، و هو عبارة عن كتاب مجموع من الأحكام قد اقتبسها من شرائع شتّى : من اليهودية و النصرانية ، و الملّة الإسلامية و غيرها ، و فيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره و هواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدّمونه على الحكم بكتاب الله و سنة رسول الله ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله و رسوله فلا يحكّم سواه في قليل و لا كثير .إنتهى.

و هذا يلتقي مع ما قاله[58] الإمام إسحاق بن راهويه : و قد أجمع العلماء على أنّ من دفع شيئا أنزله الله و هو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنّه كافر .إنتهى

ب- أقوال العلماء الّذين عاصروا القوانين الوضعية العصرية :

أمّا علماء هذا العصر الّذين عاصروا و يعاصرون هذه القوانين الوضعية المناقضة لشريعة ربّ البريّة .

1- الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر بعض الأوصاف القبيحة الّتي يتحلّ بها بلد سمّاه ، قال[59] : منها أنّهم يحكمون و يتحاكمون إلى من يعرف الأحكام الطاغوتية منهم في جميع الأمور الّتي تنوبهم و تعرض لهم من غير إنكار و لا حياء من الله و لا من عباده

و لا يخافون من أحد ، و هذا الأمر معلوم لكلّ احد من النّاس، لا يقدر أحد على إنكاره ودفعه ، و هو أشهر من نار على علم ؛ و لا شكّ و لا ريب أنّ هذا كفر بالله سبحانه و تعالى و بشريعته الّتي امر بها على لسان رسوله و إختارها لعباده في كتابه و على لسان رسوله ، بل كفروا بجميع الشرائع من لدن آدم عليه السّلام إلى الآن ، و هؤلاء جهادهم واجب و قتالهم متعيّن حتّى يقبلوا أحكام الإسلام و يذعنوا لها و يحكموا بينهم بالشريعة المطهّرة و يخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية . إنتهى

[57] - تفسير القرآن العظيم [369/2]
[58] - التمهيد لابن عبد البر [226/4]
[59] - الدواء العاجل في دفع العدوّ الصائل

2- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي في حاشيته على زاد المستقنع المسماة بالسلسبيل في معرفة الدليل[60]: ... فالحكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية إلحاد وكفر وفساد وظلم للعباد، فلا يسود الأمن ولا تحفظ الحقوق الشرعية إلا بالعمل بشريعة الإسلام كلّها عقيدةً وعبادةً وأحكاماً وأخلاقاً وسلوكاً ونظاماً، فالحكم بغير ما أنزل الله هو حكم بعمل مخلوق لمخلوق مثله، هو حكم بأحكام طاغوتية... ولا فرق بين الأحوال الشخصية والعامّة والخاصة فمن فرق بينها في الحكم فهو ملحد زنديق كافر بالله العظيم.إنتهى

3- العلاّمة حامد الفقي رحمه الله تعالى ، قال[61]معلّقا على كلام ابن كثير الّذي نقلته آنفا :

و مثل هذا و شرّ منه من اتّخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء و الفروج و الأموال و يقدّمها على ما علم و تبيّن له من كتاب الله و سنة رسوله فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها و لم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله و لا ينفعه أيّ اسم تسمّى به و لا أيّ عمل من ظواهر أعمال كالصلاة و الصيام و نحوها .إنتهى

4- المحدث العلاّمة أحمد شاكر رحمه الله تعالى ، قال[62] : أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة ؟ بل بتشريع تدخله الأهواء و الآراء الباطلة يغيّرونه و يبدّلونه كما يشاءون ، و لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها ؟.

إنّ المسلمين لم يبلوا بهذا قط فيما نعلم من تاريخهم إلاّ في ذلك العهد عهد التتار ، و كان من أسوأ عهود الظلم و الظلام ، و مع هذا فإنّهم لم يخضعوا له ، بل غلب الإسلام التتار ، ثمّ مزجهم فأدخلهم في شرعته ، و زال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم و شريعتهم ، و أنّ هذا الحكم السيء الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك ، لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمّة الإسلامية المحكومة ، و لم يتعلّموه ، و لم يعلموه أبناءهم ، فما أسرع ما زال أثره .

أفرأيتم هذا الوصف القويّ من الحافظ ابن كثير - في القرن الثامن - لذاك القانون الوضعي الذي صنعه عدوّ الإسلام جنكزخان ؟، ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرّابع عشر إلاّ في فرق واحد أشرنا إليه آنفا ، أنّ ذلك كان في طبقة خاصّة من الحكام أتى عليها الزمان سريعا فاندمجت في الأمّة الإسلامية ، و زال أثر ما صنعت ثمّ كان المسلمون الآن أسوأ حالا و أشدّ ظلما و ظلاما منهم ، لأنّ أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين

---

[60] - 2/ 384

[61] - تعليقه على فتح المجيد [477]

[62] - كما في عمدة التفسير [4/173-174] ، و له رحمه الله رسالة نافعة بعنوان " الكتاب و السنّة يجب أن يكونا مصدر القوانين ".

المخالفة للشريعة و التّي هي أشبه شيء بذلك الياسق الّذي إصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر.

هذه القوانين الّتي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثمّ يتعلّمها أبناء المسلمين ، و يفخرون بذلك آباء و أبناء ، ثمّ يجعلون مردّ أمرهم إلى معتنقي هذا الياسق العصري ، و يحقرون من يخالفهم في ذلك ، و يسمّون من يدعوهم إلى الإستمساك بدينهم و شريعتهم رجعيّا و جامدا ، إلى أمثال ذلك من الألفاظ البذيئة .

بل إنّهم أدخلوا أيديهم فيما بقي في الحكم من التشريع الإسلامي ، يريدون تحويله إلى ياسقهم الجديد بالهوينى و اللين تارة ، و بالمكر و الخديعة تارة ، و بما ملكت أيديهم من السلطات تارات ، و يصرّحون و لا يستحيون بأنّهم يعملون على فصل الدولة عن الدّين .

أفيجوز إذن مع هذا لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدّين الجديد أعني التشريع الجديد ؟ ، أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا ، و إعتناقه و إعتقاده و العمل به ، عالما كان الأب أو جاهلا ؟.

أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظلّ هذا الياسق العصري ، و ان يعمل به و يعرض عن شريعته البيّنة ؟ ما أظنّ أنّ رجلا مسلما يعرف دينه و يؤمن به جملة و تفصيلا ، و يؤمن بأنّ القرآن أنزله الله على رسوله كتابا محكما ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و بأنّ طاعته و طاعة الرسول الّذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كلّ حال ، ما أظنّه يستطيع إلاّ أن يُجرّم غير متردّد و لا متأوّل ، بأنّ ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلانا أصليّا لا يلحقه التصحيح و لا الإجازة ، إنّ الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ، و لا مداورة و لا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها ، أو إقرارها ، فليحذر امرؤ نفسه ، و كلّ امرئ حسيب نفسه .

ألا فليصدع العلماء بالحقّ غير هيّابين ، و ليبلّغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين و لا مقصّرين، سيقول عنّي عبيد هذا الياسق العصري و ناصروه أنّي جامد ، و أنّي رجعي و ما إلى ذلك من الأقاويل ألا فليقولوا ما شاءوا ، فما عبأتُ يوما ما بما يُقال عنّي ، و لكنّي قلتُ ما يجب ان أقول . إنتهى .

5- العلاّمة عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله تعالى ، قال[63] : و كذلك من دعا إلى تحكيم غير الله و رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ترك ما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم و رغب عنه ، و جعل لله شريكا في الطاعة و خالف ما جاء به رسول الله فيما أمره الله تعالى به في قوله : " و أن أحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك " و قوله تعالى : "

[63] - فتح المجيد [473]

فلا و ربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدون في أنفسهم حرجا ممّا قضيت و يسلّموا تسليما " فمن خالف ما أمر الله به و رسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين النّاس بغير ما أنزل الله ، أو طلب ذلك إتباعا لما يهواه و يريده فقد خلع ربقة الإسلام و الإيمان من عنقه ، و إن زعم أنّه مؤمن ، فإنّ الله تعالى أنكر على من أراد ذلك ، و أكذبهم في زعمهم الإيمان لما ضمن قوله : " يزعمون" من نفي إيمانهم، فإنّ " يزعمون " إنّما تقال غالبا لمن ادّعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها ، و عمله بما ينافيها ، و يحقق هذا قوله" و قد أمروا أن يكفروا به " لأنّ الكفر بالطاغوت ركن التوحيد ، كما في آية البقرة ، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدا ، و التوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال و تفسد بعدمه ، كما أنّ ذلك بيّن في قوله تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى " و ذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به - إنتهى -

6- العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى ، قال في تحكيم القوانين : الخامس- أي من أنواع القوانين الكافرة - و هو أعظمها و أشملها و أظهرها معاندة للشرع و مكابرة لأحكامه ، و مشاقة لله و رسوله ، و مضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادا و إمدادا و ارصادا و تأصيلا و تفريعا و تشكيلا و تنويعا ، و حكما و إلزاما و مراجع و مستندات ، فكما أنّ للمحاكم الشرعية مراجع و مستمدات ، مرجعها كلّها إلى كتاب الله و سنّة رسوله ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفّق من شرائع شتّى ، و قوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسي ، و القانون الأمريكي و القانون البريطاني ، و غيرها من القوانين و من مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة و غير ذلك .إنتهى .

7- عبد الرحمن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى : " فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم " : الرّد إلى الكتاب و السنّة شرط في الإيمان .... فدّل ذلك على أنّ من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية ، فإنّ الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله و تحكيمه في كلّ أمر من الأمور فمن زعم أنّه مؤمن و اختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب في ذلك - إهـ -

8- العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى ، قال[64] في تفسير قوله تعالى: " و لا يشرك في حكمه أحدا " الكهف [26] ،: ما تضمّنته هذه الآية الكريمة من كون الحكم لله وحده لا شريك له فيه على كلتا القراءتين - و قال قبل ذلك – [و حكمه جلا وعلا في الآية شامل لكلّ ما يقتضيه جل و علا ، و يدخل في ذلك التشريع دخولا أوّليا] جاء مبينا في آيات أخر: كقوله تعالى : " إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه " يوسف [40] ، و قوله : " و ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله " الشورى [10] و قوله : " ذالكم بأنّه إذا دعي الله وحده كفرتم و إن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير " غافر [12] .

---

[64] - أضواء البيان [4/65-66 بتصرف]

و قوله تعالى : أفغير الله أبتغي حكما و هو الّذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلا " الأنعام [114] إلى غير ذلك من الآيات .

و يفهم من هذه الآيات كقوله : " و لا يشرك في حكمه أحدا " أن متّبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنّهم مشركون ، و هذا المفهوم جاء مبيّنا في آيات أخر ، كقوله فيمن اتبع الشيطان في إباحة الميتة أنّها ذبيحة الله : " و لا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه و إنّه لفسق و إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم و إن أطعتمومهم إنّكم لمشركون " الأنعام [112] ، فصرح بأنّهم مشركون بطاعتهم ، و هذا الإشراك في الطاعة و إتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى : " ألم أعهد إليكم يا بني ءادم أن لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين ، و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم " يس [60-61] .

.... و بهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور : أنّ الّذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل و علا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم أنّه لا يشك في كفرهم و شركهم إلاّ من طمس الله بصيرته و أعماه عن نور الوحي مثلهم ـ إهـ

9- الشيخ ابن العثيمين رحمه الله تعالى ، قال[65] رحمه الله تعالى مبيّنا سبب هذا الكفر : من لم يحكم بما أنزل الله استخفافا به ، أو احتقارا له أو اعتقادا أنّ غيره أصلح منه و أنفع للخلق فهو كافر كفرا مخرجا من الملّة ، و من هؤلاء من يصنعون للنّاس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهجا يسير النّاس عليه ، فإنّهم لم يصنعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلاّ و هم يعتقدون أنّها أصلح و أنفع للخلق إذ من المعلوم بالضرورة العقلية و الجبلة الفطرية أنّ الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلاّ و هو يعتقد فضل ما عدل إليه و نقص ما عدل عنه .إنتهى.

وقال[66] رحمه الله تعالى: ونرى فرقا بين شخص يضع قانونا يخالف الشريعة ليحكم النّاس به ، و شخص آخر يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله ، لأنّ من

---

[65]- مجموع فتاوى و رسائل ابن عثيمين [143/2]

[66]- لقاء مفتوح [26 ص 32-33]

و للشيخ إبن عثيمين فتوى أخرى في مجموع فتاوى ورسائل المجلد الثاني، الكفر والتكفير رقم 229 : الحاكم الذي لا يحكم بكتاب الله وسنة رسوله تجب طاعته في غير معصية الله ورسوله ، و لا تجب محاربته من اجل ذلك ، بل و لا تجوز إلاّ أن يصل إلى حدّ الكفر فحينئذ تجب منابذته ، و ليس له طاعة على المسلمين ، و الحكم بغير ما في كتاب الله و سنة رسول الله يصل إلى حدّ الكفر بشرطين : الأوّل : أن يكون عالما بحكم الله و رسوله ، فإن كان جاهلا لم يكفر بمخالفته .

الثاني : أن يكون الحامل له على الحكم بغير ما أنزل الله إعتقاد أنّه حكم غير صالح للوقت و أنّ غيره أصلح منه ، و انفع للعباد ، و بهذين الشرطين يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا مخرجا من الملّة لقول الله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الكافرون " ، و تبطل ولاية الحاكم و لا يكون له طاعة على الناس ، و تجب محاربته و إبعاده عن الحكم . إنتهى

فما يجب فهمه من كلام الشيخ إبن عثيمين أنّ كلامه الأخير يجب أن يُفهم على ضوء كلامه السابق و الموافق لكلام السلف ، فأوّلا هو لا يَعدّ كلّ حكم مخالف للكتاب و السنّة من قبيل الكفر و هذا صواب ، إذ قرّرنا سابقا أنّ الحكم بغير ما أنزل الله ليس له حكم واحد ، بخلاف القوانين الوضعية ، و هذا مطابق لما

وضع قانونا ليسير النّاس عليه و هو يعلم مخالفته للشريعة ، و لكنّه أراد أن يكون النّاس عليه فهذا كافر كفرا مخرجا من الملّة ، و لكن من حكم في مسألة معينة يعلم فيها حكم الله و لكن لهوى في نفسه ، فهذا ظالم فاسق و كفره و إن وصف بالكفر كفر دون كفر - إنتهى -

10- الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى ، قال بعدما نقل كلام ابن كثير حول الياسق :

و مثل القانون الذي ذكره عن التتار و حكم بكفر من جعله بديلا عن الشريعة الإسلامية مثله القوانين الوضعية التي جعلت اليوم في كثير من الدول هي مصادر للأحكام و ألغيت من أجلها الشريعة الإسلامية إلاّ في ما يسمونه بالأحوال الشخصية .

و قال[67] حفظه الله تعالى : من نحّى الشريعة الإسلامية و جعل القانون الوضعي بديلا عنها فهذا دليل على أنّه يرى أنّ القانون أحسن و أصلح من الشريعة و هذا لا شك أنّه كفر أكبر يخرج من الملّة و يناقض التوحيد - إه -

11- الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله تعالى ، قال[68] : ما يلزم منه لزوماً ظاهراً و يدل دلالة ظاهرة على عدم الإقرار بالشهادتين باطناً ، و لو أقر بهما ظاهراً و ذلك يشمل أمور – فذكر من بين هذه الأمور القوانين الوضعية ، فقال : - أن يضع الوالي قانوناً يتضمن أحكاماً تناقض أحكام قطعية من أحكام الشريعة معلومة من دين الإسلام بالضرورة ، و يفرض الحكم به ، و التحاكم إليه ، ويعاقب من حَكَمَ بحكم الشريعة المخالف له ، و يدّعي مع ذلك الإقرار بوجوب الحكم بالشريعة – شريعة الإسلام – التي هي حكم الله و رسوله ، و من ذلك هذه الأحكام الطاغوتية المضادة لحكم الله و رسوله :

نقلته آنفا عن الشيخ إبن عثيمين ، حيث قال : و نرى فرقا بين شخص يضع قانونا يخالف الشريعة ليحكم النّاس به ، و شخص آخر يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله .
فمن حكم في مسألة معيّنة بخلاف حكم الله ، قال : و لكن من حكم في مسألة معينة يعلم فيها حكم الله و لكن لهوى في نفسه ، فهذا ظالم فاسق و كفره و إن وصف بالكفر كفر دون كفر . إنتهى
و تكفير هذا المعيّن يلزم منه توفر الشرطين المذكورين آنفا
أمّا من شرّع القوانين ، فيدخل في قوله : أن يكون الحامل له على الحكم بغير ما أنزل الله إعتقاد أنّه حكم غير صالح للوقت و أنّ غيره أصلح . إنتهى، و هذا ما بيّنه في كلامه السابق حيث قال : اعتقاد أنّ غيره أصلح منه و أنفع للخلق فهو كافر كفرا مخرجا من الملّة ، و من هؤلاء من يصنعون للنّاس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهجا يسير النّاس عليه ، فإنّهم لم يصنعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلاّ و هم يعتقدون أنّها أصلح و أنفع للخلق إذ من المعلوم بالضرورة العقلية و الجبلة الفطرية أنّ الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلاّ و هو يعتقد فضل ما عدل إليه و نقص ما عدل عنه - إه -
و من هنا نلاحظ أنّ كلام الشيخ إبن عثيمين متوافق و غير متناقض على الأقل فيما توصّلت إليه من خلال هذا الجمع . و الله أعلم .

[67] - عقيدة التوحيد [122] ، و للشيخ حفظه الله رسالة بعنوان الحكم بغير ما انزل الله .
[68] - جواب في الإيمان و نواقضه

أ) الحكم بحرية الاعتقاد فلا يقتل المرتد ، ولا يستتاب .

ب) حرية السلوك ، فلا يجبر أحد على فعل الصلاة ، و لا الصيام ، و لا يعاقب على ترك ذلك .

ج) تبديل حد السرقة – الذي هو قطع اليد – بالتعزير و الغرامة .

د) منع عقوبة الزانيين بتراضيهما إلاّ لحق الزوج أو نحو ذلك ممّا يتضمن إباحة الزنا و تعطيل حدِّه من الجلد و الرجم .

هـ) الإذن بصناعة الخمر ، و المتاجرة فيه ، و منع عقوبة شاربه .إنتهى

هذا عن رأي بعض من قالوا بكفر هذه القوانين الوضعية المناقضة لشريعة الله ربّ البريّة .

ثانيا : أدلّة المسألة[69] :

ومن الآيات الدّالة على المقصود :

قال تعالى : " وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "26 الكهف

وقال : " ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ "

12غافر ، وقال : " أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً " 114 الأنعام .

وقوله: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا " النساء.

و من الأدلّة الدّالة على المقصود ما ذكره العلاّمة الشنقيطي رحمه الله في كتابه الماتع أضواء البيان ، أترككم على كلام فضيلته ، و تحمّلوا طوله فإنّه مهمّ غاية .

قال العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

قوله تعالى: " وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ " . ما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أنّ ما إختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة.

[69] - هذا المحور مستخرج من تفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى أضواء البيان 47/7-57

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه" وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "[70].

وفي قراءة ابن عامر من السبعة " وَلاَ تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا " بصيغة النهي، وقال في الإشراك به في عبادته: " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا "[71] ، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله. وبذلك تعلم أنّ الحلال هو ما أحلّه الله، والحرام هو ما حرّمه الله، والدّين هو ما شرعه الله، فكلّ تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنّه مثله أو خير منه، كفر بواح لانزاع فيه.

وقد دلّ القرآن في آيات كثيرة، على أنّه لا حكم لغير الله، وأنّ إتباع تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالّة على أنّ الحكم لله وحده قوله تعالى : " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ "[72] وقوله تعالى: " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ "[73] . وقوله تعالى: " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ "[74]

وقوله: " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ "[75] ، وقوله تعالى: " وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا " ، وقوله تعالى: " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[76] ، وقوله تعالى : " لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلأُولَىٰ وَٱلآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[77] والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدّمنا إيضاحها في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: " وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ".

وأمّا الآيات الدالّة على أنّ إتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جداً، كقوله تعالى: " إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ "[78] ، وقوله تعالى: " وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ "[79] ، وقوله تعالى: " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ "[80] .

والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً ، كما تقدّم إيضاحه في الكهف.

---

[70] - سورة الكهف ، آية : 26
[71] - سورة الكهف ، آية : 110
[72] - سورة يوسف ، آية : 40
[73] - سورة يوسف ، آية : 67
[74] - سورة الأنعام ، آية : 57
[75] - سورة المائدة ، آية : 44
[76] - سورة القصص ، آية : 88
[77] - سورة القصص ، آية : 70
[78] - سورة النحل ، آية : 100
[79] - سورة الأنعام ، آية : 121
[80] - سورة يس ، آية : 60

مسألة : اعلم أنّ الله جل وعلا بيّن في آيات كثيرة ، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كلّ عاقل أن يتأمّل الصفات المذكورة ، التي سنوضحها الآن إن شاء الله ، ويقابلها مع صفات البشر المشرّعين للقوانين الوضعية ، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع.

سبحان الله وتعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، فليتّبع تشريعهم.

وإن ظهر يقيناً أنّهم أحقر وأخسّ وأذلّ وأصغر من ذلك ، فليقف بهم عند حدّهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبيّة.

سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته ، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: " وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ " ، ثم قال مبيّناً صفات من له الحكم : " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ "[81] .

فهل في الكفرة الفجرة المشرّعين للنظم الشيطانية ، من يستحق أن يوصف بأنّه الربّ الذي تفوّض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنّه فاطر السماوات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق ، وأنّه هو الذي خلق للبشر أزواجاً ، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: " ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ "[82] الآية ، وأنّه " لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ " .

وأنّه " لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " ، وأنّه " هُوَ ٱلَّذِى * يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ " أي يضيّقه على من يشاء " وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ " ؟!. فعليكم أيّها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرّع ويحلّل ويحرّم ، ولا تقبلوا تشريعاً من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : " فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "[83] ، فقوله فيها: " فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ " كقوله في هذه : " فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ " . وقد عجب نبيّه صلى الله عليه وسلم بعد قوله : " فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ " من الذين يدّعون الإيمان مع أنّهم يريدون المحاكمة ، إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم المعبّر عنه في الآية بالطاغوت، وكلّ تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت ،

[81] - سورة الشورى ، آية : 10- 12
[82] - سورة الأنعام ، آية : 143
[83] - سورة النساء ، آية : 59

وذلك في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيداً "[84].

فالكفر بالطاغوت ، الذي صرّح الله بأنّه أمرهم به في هذه الآية ، شرط في الإيمان كما بيّنه تعالى في قوله : " فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ "[85].

فيفهم منه أنّ من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسّك بالعروة الوثقى ، ومن لم يستمسك بها فهو متردّ مع الهالكين .

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: " لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "[86].

فهل في الكفرة الفجرة المشرّعين من يستحق أن يوصف بأنّ له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكلّ المسموعات ، وبصره بكلّ المبصرات؟

وأنّه ليس لأحد دونه من وليّ؟

سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: " وَلاَ تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[87].

فهل في الكفرة الفجرة المشرّعين من يستحق أن يوصف بأنّه الإله الواحد؟ وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟

تبارك ربّنا وتعاظم وتقدّس أن يوصف أخسّ خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: " ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ للَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ "[88].

فهل في الكفرة الفجرة المشرّعين النظم الشيطانية ، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنّه العليّ الكبير؟

---

[84] - سورة النساء ، آية : 60
[85] - سورة البقرة ، آية : 256
[86] - سورة الكهف ، آية : 26
[87] - سورة القصص ، آية : 88
[88] - سورة غافر ، 12

سبحانك ربّنا وتعاليت عن كلّ ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: " وَهُوَ ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلأُولَىٰ وَٱلآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "[89].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية ، من يستحق أن يوصف بأنّ له الحمد في الأولى والآخرة، وأنّه هو الذي يصرف اللّيل والنهار مبيّناً بذلك كمال قدرته ، وعظمة إنعامه على خلقه ؟!.

سبحان خالق السماوات والأرض جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه ، أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ "[90].

فهل في أولئك من يستحقّ أن يوصف بأنّه هو الإله المعبود وحده ، وأنّ عبادته وحده هي الدّين القيّم؟

سبحان الله وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومنها قوله تعالى: " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ "[91].

فهل فيهم من يستحق أن يتوكل عليه ، وتفوض الأمور إليه؟

ومنها قوله تعالى: " وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ * أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ "[92].

فهل في أولئك المشرّعين من يستحق أن يوصف بأنّ حكمه بما أنزل الله وأنّه مخالف لإتباع الهوى؟ وأنّ من تولّى عنه أصابه الله ببعض ذنوبه؟ لأنّ الذنوب لا يؤاخذ بجميعها إلاّ في الآخرة؟ وأنّه لا حكم أحسن من حكمه لقوم يوقنون؟

---

[89] - سورة القصص ، آية : 70- 73
[90] - سورة يوسف ، آية : 40
[91] - سورة يوسف ، آية : 67
[92] - سورة المائدة ، آية : 49- 50

سبحان ربّنا وتعالى عن كلّ ما لا يليق بكماله وجلاله.
ومنها قوله تعالى: " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ "[93].

فهل فيهم من يستحقّ أن يوصف بأنّه يقص الحق ، وأنّه خير الفاصلين؟
ومنها قوله تعالى: " أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلاً وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً"[94].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنّه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلاً ، الذي يشهد أهل الكتاب أنّه منزل من ربّك بالحق ، وبأنّه تمّت كلماته صدقاً وعدلاً أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام ، وأنّه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟

سبحان ربّنا ما أعظمه وما أجل شأنه.

ومنها قوله تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ "[95].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنّه هو الذي ينزل الرزق للخلائق ، وأنّه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلاّ بإذنه؟ لأنّ من الضروري أنّ من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟

سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم.

ومنها قوله تعالى: " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ "[96].

فهل فيهم من يستحق الوصف بذلك؟

سبحان ربّنا وتعالى عن ذلك.

ومنها قوله تعالى: " وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[97].

[93] - سورة الأنعام ، آية : 57
[94] - سورة الأنعام ، آية : 114- 115
[95] - سورة يونس ، آية : 59
[96] - سورة المائدة ، آية : 44
[97] - سورة النحل ، آية : 116- 117

فقد أوضحت الآية أنّ المشرّعين غير ما شرّعه الله إنّما تصف ألسنتهم الكذب ، لأجل أن يفتروه على الله ، وأنّهم لا يفلحون وأنّهم يمتعون قليلاً ثمّ يعذبون العذاب الأليم ، وذلك واضح في بعد صفاتهم من صفات من له أن يحلّل ويحرّم.

ومنها قوله تعالى: " قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ "[98].

فقوله: " هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ " صيغة تعجيز ، فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم ، وذلك واضح في أنّ غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم ، ولما كان التشريع وجميع الأحكام ، شرعية كانت أو كونية قدرية ، من خصائص الربوبية ، كما دلّت عليه الآيات المذكورة كان كلّ من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربّا، وأشركه مع الله .

والآيات الدالّة على هذا كثيرة ، وقد قدّمناها مراراً وسنعيد منها ما فيه كفاية ، فمن ذلك وهو من أوضحه وأصرحه، أنّه في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم وقعت مناظرة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، في حكم من أحكام التحريم والتحليل ، وحزب الرحمن يتّبعون تشريع الرحمن في وحيه في تحريمه، وحزب الشيطان يتّبعون وحي الشيطان في تحليله.

وقد حكم الله بينهما وأفتى فيما تنازعوا فيه فتوى سماوية قرآنية تتلى في سورة الأنعام.

وذلك أنّ الشيطان لمّا أوحى إلى أوليائه فقال لهم في وحيه: سلوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها؟ فأجابوهم أنّ الله هو الذي قتلها.

فقالوا: الميتة إذاً ذبيحة الله ، وما ذبحه الله كيف تقولون إنّه حرام؟ مع أنّكم تقولون إنّما ذبحتموه بأيديكم حلال ، فأنتم إذاً أحسن من الله وأحل ذبيحة. فأنزل الله بإجماع من يعتدّ به من أهل العلم قوله تعالى:" وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ "[99] يعني الميتة أي وإن زعم الكفار أنّ الله ذكّاها بيده الكريمة بسكين من ذهب: " وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ " والضمير عائد إلى الأكل المفهوم من قوله: " وَلاَ تَأْكُلُواْ " وقوله: " لَفِسْقٌ " أي خروج عن طاعة الله، واتباع لتشريع الشيطان : " وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ".

أي بقولهم: ما ذبحتموه حلال وما ذبحه الله حرام ، فأنتم إذاً أحسن من الله وأحل تذكية ، ثمّ بيّن الفتوى السماوية من ربّ العالمين في الحكم بين الفريقين في قوله تعالى: " وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ " فهي فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرّح فيها بأنّ متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله.

[98] - سورة الأنعام ، آية : 150
[99] - سورة الأنعام ، آية : 121

وهذه الآية الكريمة مثل بها بعض علماء العربية لحذف اللام الموطئة للقسم ، والدليل على اللام الموطئة المحذوفة عدم اقتران جملة إنّكم لمشركون بالفاء ، لأنّه لو كان شرطاً لم يسبقه قسم لقيل: فإنكم لمشركون على حد قوله في الخلاصة :

واقرن بفا حتما جواباً لو جعل شرطاً لإن أو غيرها لم ينجعل

وهو مذهب سيبويه ، وهو الصحيح ، وحذف الفاء في مثل ذلك من ضرورة الشعر.

وما زعمه بعضهم من أنّه يجوز مطلقاً ، وأنّ ذلك دلّت عليه آيتان من كتاب الله.

إحداهما قوله تعالى: " وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ".

والثانية قوله تعالى: " وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ "[100] بحذف الفاء في قراءة نافع وابن عامر من السبعة خلاف التحقيق.

بل المسوغ لحذف الفاء في آية : " إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ " تقدير القسم المحذوف قبل الشرط المدلول عليه بحذف الفاء على حد قوله في الخلاصة:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أحرت فهو ملتزم

وعليه: فجملة " إنّكم لمشركون " جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محذوف ، فلا دليل في الآية لحذف الفاء المذكور.

والمسوغ له في آية " بِمَا كَسَبَتْ * أَيْدِيكُم " أنّ " ما " في قراءة نافع وابن عامر موصولة كما جزم به غير واحد من المحققين ، أي والذي أصابكم من مصيبة كائن وواقع بسبب ما كسبت أيديكم.

وأمّا على قراءة الجمهور: فما موصولة أيضاً ، ودخول الفاء في خبر الموصول جائز كما أنّ عدمه جائز فكلتا القراءتين جارية على أمر جائز.

ومثال دخول الفاء في خبر الموصول قوله تعالى: " ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُم عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ "[101] وهو كثير في القرآن .

وقال بعضهم: إنّ " ما " في قراء الجمهور شرطية ، وعليه فاقتران الجزاء بالفاء واجب .

---

[100] - سورة الشورى ، آية : 30
[101] - سورة البقرة ، آية : 274

أمّا على قراءة نافع وابن عامر، فهي موصولة ليس إلاّ كما هو التحقيق إن شاء الله.

وكون " ما " شرطية على قراءة ، وموصولة على قراءة لا إشكال فيه ، لما قدّمنا من أنّ القراءتين في الآية الواحدة كالآيتين.

ومن الآيات الدالّة على نحو ما دلّت عليه آية الأنعام المذكورة قوله تعالى: " إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ "[102] ، فصرّح بتوليهم للشيطان أي بإتباع ما يزيّن لهم من الكفر والمعاصي مخالفاً لما جاءت به الرسل، ثمّ صرّح بأنّ ذلك إشراك به في قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ " وصرّح أنّ الطّاعة في ذلك الذي يشرّعه الشيطان لهم ويزيّنه عبادة للشيطان.

ومعلوم أنّ من عبد الشيطان فقد أشرك بالرحمٰن قال تعالى: " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا "، ويدخل فيهم متبعوا نظام الشيطان دخولاً أولياء " أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ "[103].

ثم بيّن المصير الأخير لمن كان يعبد الشيطان في دار الدنيا ، في قوله تعالى: " هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ "[104] ، وقال تعالى عن نبيّه إبراهيم : " يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا "[105] ، فقوله : " لا تعبد الشيطان " : أي بإتباع ما يشرّعه من الكفر والمعاصي ، مخالفاً لما شرّعه الله.

وقال تعالى: " إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا "[106] ، فقوله: " وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا " يعني ما يعبدون إلاّ شيطاناً مريداً.

وقوله تعالى: " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ "[107].

فقوله تعالى: " بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ " أي يتّبعون الشياطين ويطيعونهم فيما يشرّعون ويزيّنون لهم من الكفر والمعاصي على أصحّ التفسيرين.

---

[102] - سورة النحل ، آية : 100
[103] - سورة يس ، آية : 60- 62
[104] - سورة يس ، آية : 63- 65
[105] - سورة مريم ، آية : 44
[106] - سورة النساء ، آية : 117
[107] - سورة سبأ ، آية : 40- 41

والشيطان عالم بأنّ طاعتهم له المذكورة إشراك به كما صرّح بذلك وتبرأ منهم في الآخرة ، كما نصّ الله عليه في سورة إبراهيم في قوله تعالى: " وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ " إلى قوله: " إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ "[108] ، فقد إعترف بأنّهم كانوا مشركين به من قبل أي في دار الدنيا، ولم يكفر بشركهم ذلك إلاّ يوم القيامة.

وقد أوضح النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الذي بيّنا في الحديث لمّا سأله عدي بن حاتم رضي الله عنه عن قوله: " ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا "[109] كيف اتخذوهم أرباباً؟ وأجابه صلى الله عليه وسلم «أنّهم أحلّوا لهم ما حرّم الله وحرّموا عليهم ما أحلّ الله فاتبعوهم ، وبذلك الإتباع اتخذوهم أرباباً».

ومن أصرح الأدلّة في هذا أنّ الكفار إذا أحلّوا شيئاً يعلمون أنّ الله حرّمه ، وحرموا شيئاً يعلمون أنّ الله أحله ، فإنّهم يزدادون كفراً جديداً بذلك مع كفرهم الأوّل، وذلك في قوله تعالى: " إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ " إلى قوله : " وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ "[110] .

وعلى كلّ حال فلا شكّ أنّ كلّ من أطاع غير الله ، في تشريع مخالف لما شرعه الله ، فقد أشرك به مع الله كما يدلّ لذلك قوله: " وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ "[111] فسمّاهم شركاء لمّا أطاعوهم في قتل الأولاد.

وقوله تعالى: " أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ "[112] ، فقد سمّى تعالى الذين يشرّعون من الدّين ما لم يأذن به الله شركاء ، وممّا يزيد ذلك إيضاحاً ، أنّ ما ذكره الله عن الشيطان يوم القيامة ، من أنّه يقول للّذين كانوا يشركون به في دار الدنيا ، " إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل " ، أنّ ذلك الإشراك المذكور ليس فيه شيء زائد على أنّه دعاهم إلى طاعته فاستجابوا له كما صرّح بذلك في قوله تعالى عنه : " وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي " ، وهو واضح كما ترى.إنتهى كلام العلاّمة الشنقيطي رحمه الله .

ثالثا : المخالفون

لم يخالف في هذه المسألة من العلماء المعتبرين فيما أعلم إلاّ الشيخ الألباني و الشيخ إبن باز رحمه الله تعالى فيما نُقل عنه في وثيقة نُسبت إليه.

1- الشيخ الألباني : أمّا الشيخ الألبانيّ رحمه الله تعالى فخلافه راجع أساسا إلى قوله في مسألة الإيمان و علاقة الأعمال مع مسمّى الإيمان ، و كنتُ قد نقلتُ آنفا

108 - سورة إبراهيم ، آية : 22
109 - سورة التوبة ، آية : 31
110 - سورة التوبة ، آية : 37
111 - سورة الأنعام ، آية : 137
112 - سورة الشورى ، آية : 21

في مسألة تارك الصّلاة أنّ الشيخ رحمه الله يحصر الكفر في الجحود ، و هذا مخالف لما كان عليه السلف ، فالكفر عندهم لم يكن محصورا في الجحود أي بقلب فقط ، بل قد يكون بالقول و بالعمل ، و كنتُ كذلك نقلتُ كلمة الشيخ صالح الفوزان في هذه النقطة ، و مع ذلك لمّا نُقش الشيخ في المسألة و بُيّن له أنّه من نحّى الشريعة الإسلامية و جعل القانون الوضعي بديلا عنها فهذا دليل على أنّه يرى أنّ القانون أحسن و أصلح من الشريعة و هذا لا شك أنّه كفر أكبر يخرج من الملّة و يناقض التوحيد .

قال [113] الشيخ الألباني رحمه الله : فالآن نعود لعلّنا نلتقي أنّ هذا الّذي اتّخذ نظاما قد يكون سبب قول القائلين أنّ هذا كفر ردّة أنّهم اتخذوا نظامه دليلا على ما وقر في نفسه بأن الحكم بالإسلام لا يصلح ، فأنا أقول إن صح حكمهم و استنباطهم فيكون حكما صحيحا مطابقا للكفر الإعتقادي ـ إنتهى ـ

فهنا وافق الشيخ رحمه الله القائلين بكفر هذا القانون الوضعي بتلكم القرينة المنقولة.

2- الشيخ إبن باز : أمّا الشيخ إبن باز فلولا ما نُقل عنه بواسطة وثيقة يُقال أنّها مفرّغة من مناقشة الشيخ مع بعض الدعاة منهم سلمان العودة و عائض القرني و الّذي جاء فيها أنّه رحمه الله لا يَعدّ هذه القوانين من الكفر إلاّ مع إستحلال ، أقول لولا هذه الوثيقة و الّذي نحتاج إلى إثباتها لكنّا نعدّ الشيخ إبن باز من القائلين بكفر هذه القوانين لما جاء عنه رحمه الله تعالى حيث قال[114] : و كلّ دولة لا تحكم بشرع الله ، و لا تنصاع لحكم الله ، و لا ترضاه فهي دولة جاهلة كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات ـ إنتهى ـ

و قال[115] رحمه الله في موضع آخر لمّا سئل عن حكم الّذين يطالبون بتحكيم مبادئ الإشتراكية و الشيوعية و يحاربون حكم الإسلام . قال : لقد أجمع العلماء على أنّ من زعم أنّ حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أنّ هدي غير رسول الله أحسن من هدي الرسول عليه الصّلاة و السّلام فهو كافر ضال ، كما أجمعوا على أنّ من زعم أنّه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد صلّى الله عليه و سلّم ، أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال ، و أنّ الّذين يدعون إلى الإشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدّامة المناقضة لحكم الإسلام كفار ضلال أكفر من اليهود و النصارى ، لأنّهم ملاحدة لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر . إنتهى.

و مع ذلك فقد قال الشيخ إبن باز في نفس الوثيقة الّتي يحتجّ بها المخالف : إذا إمتنع من تحكيم شرع الله وجب قتاله كما حصل لمانعي الزكاة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فالإمتناع قرينة دالة على كفر الممتنع ، قال[116] شيخ الإسلام : و

---

113 ـ في شريط تسجيلات أبي ليلى [رقم 820] الوجه ب

114 ـ نقد القومية العربية [309/1] مجموع الفتاوى و المقالات المتنوعة .

115 ـ جريدة المسلمون (19 / 05 / 1405 هج)

116 ـ **مجموع الفتاوى (28 / 545) و نحوه في (28 / 501)**

قد إتفق علماء المسلمين على أنّ الطائفة الممتنعة عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنّه يجب قتالها إذا تكلّموا بالشهادتين و إمتنعوا عن الصّلاة و الزكاة أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب و السنّة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو عن إستحلال النفوس و الأموال بغير حق أو الربا أو الميسر أو الجهاد للكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب و نحو ذلك من شرائع الإسلام فإنّهم يقاتلون عليها حتّى يكون الدّين كلّه لله . إنتهى

و هؤلاء الّذين يُحكّمون القوانين الوضعية كلّهم يمتنعون من تحكيم شريعة الله تعالى.

و القول الحق فيما ذهب إليه الشيخ إبن باز رحمه الله على حسب الوثيقة ، هي زلّة منه لمخالفته النصوص الواضحة في المسألة كما قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله تعالى ، و لمخالفته إتفاق العلماء بل إجماعهم كما نصّ عليه الإمام إبن كثير ، و قلتُ عن رأي الشيخ إبن باز زلّة دون إختيار الشيخ الألباني ، لأنّ إختيار الشيخ الألباني المشهور عنه موافق لأصوله ، إذ لا يرى من الأعمال كفر مطلقا إلاّ إذا كان معه جحود ، أمّا الشيخ إبن باز فبإختياره الّذي هو في الوثيقة مخالف لأصوله ، و للأدلّة و للإجماع ، فكان رأيه زلّة منه رحمه الله تعالى ، و الموقف الصحيح مع زلاّت العلماء هو ما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى ، حيث قال[117] : لابد من النظر في أمور تبنى على هذا الأصل :

منها : أن زلة العالم لا يصح إعتمادها من جهة ، و لا الأخذ بها تقليداً له ، و ذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع ، و لذلك عُدَّت زلةً ، و إلاّ فلو كانت معتداً بها لم يُجعل لها هذه الرتبة ، و لا نُسِب إلى صاحبها الزلل فيها ، كما أنّه لا ينبغي أن يُنسب صاحبها إلى التقصير ، و لا أن يُشنَّعَ عليه بها ، و لا يُنتَقَصَ من أجلها ، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتاً ، فإنّ هذا كلّه خلاف ما تقضي رتبته في الدّين ... و منها : أنه لا يصح اعتمادها خلافاً في المسائل الشرعية ، لأنها لم تصدر في الحقيقة عن إجتهاد ، و لا هي من مسائل الإجتهاد ، و إن حصل من صاحبها إجتهاد فهو لم يصادف فيه محلاً ، فصارت في نسبتها إلى الشرع كأقوال غير المجتهد و إنما يُعد في الخلاف الأقوال الصادرة عن أدلة معتبرة في الشريعة ، كانت مما يقوى أو يضعف ، و أمّا إذا صدرت عن مجرد خفاء الدليل أو عدم مصادفته فلا ، فلذلك لا يصح أن يعتد بها في الخلاف ، كما لم يعتد السلف الصالح بالخلاف في مسألة ربا الفضل ، و المتعة ، و محاشي النساء ، و أشباهها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف فيها .إنتهى

نتيجة البحث

[117] - الموافقات 170/4

بعدما عرفنا حكم الشرع في هذه القوانين الوضعية ممّا لا يدع الشكّ لمريد الحقّ ، فليس من الإنصاف بعد ذلك أن نُصنّف ظلما و عدوانا بسبب هذه المسألة المتّفق عليها بين علماء الأنام بأنّها- أي القوانين الوضعية - كفر بالله العظيم .

و الّذي يريد أن يبحث في هذه المسألة يلزمه أن يتجرّد من كلّ الحسابات ، و يخلص أمره لله جلّ و علا ، حيث الكثير يدلّس في هذه المسألة و يحرّف شرع الله فيها ، و يفتري على الله الكذب .

بل بعضهم يبرّر تدليسه فيقول : من المصلحة إخفاء هذه المسألة .

سبحان الله ، و هل هذه الخطورة و المصلحة المزعومة تجعلكم تفترون على الله الكذب ؟

و ما يجب أن يُعلم أنّ الخطورة تكمن في تعطيل شرع الله تعالى ، و تحكيم هذه القوانين الوضعية بدلا منها .

الخطورة تكمن في محاربة شرع الله ، ومعاداة من يُطالبون تحكيم شرعة الله سبحانه وتعالى .

الخطورة تكمن في الإفتراء على الله الكذب ، و تحريف النصوص عن مواضعها ، و التدليس على النّاس .

Al-Qayrawan

ثالثا: مسألة حكم جهاد الدفع

الدارس للفقه الإسلامي و تاريخه يجد أنّ الإقتتال الّذي يديره المسلمون أنواع ، فمنه ما هو بين المسلمين ، و منه ما هو بين المسلمين و الكفار ، و كلّ من هذه الأنواع أقسام ، و الّذي يهمّنا في هذه الفقرة قتال الكفار ، و هذا القتال قسمان كما نصّ على ذلك علماء السلف ، فمنه جهاد الطلب ، و منه جهاد الدفع و الضابط بينهما ،أنّ جهاد الطلب هو طلب العدو ، و جهاد الدّفع هو دفع العدو ، و عليه فيفترق جهاد الطلب عن جهاد الدفع أن يكون في الأوّل العدوّ مطلوب و في الثاني العدوّ طالب ، و على هذا فرّق العلماء بين الجهادين من حيث الشروط .[118] و ما يهمّنا في هذا البحث هو ما يخصّ زماننا أقصد جهاد دفع العدوّ عن أرضنا .

حكم جهاد الدّفع : إتّفق العلماء أنّ جهاد دفع العدوّ عن أرضنا إذا إحتلّها هو فرض عينيّ ، و من الأدلّة الدّالة على هذا : قال الله تعالى: " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ " . البقرة، وقول الله تعالى: " فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ " .البقرة

أقوال العلماء على حسب مذاهبهم :

1- مذهب الأحناف : قال[119] الإمام الكاساني رحمه الله تعالى : فأمّا إذا عمّ النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يُفترض على كلّ واحد من آحاد المسلمين ممّن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى : " انفروا خفافاً وثقالاً ". إنتهى

2- مذهب المالكية : قال[120] الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى : فرض عام متعين على كلّ أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار، وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محارباً لهم، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً وشباباً وشيوخاً، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج مقل أو مكثر، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوّهم وكان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا – قلوا أو كثروا – على حسب مالزم أهل تلك البلدة حتّى يعلموا أنّ فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كلّ من علم بضعفهم عن عدوّهم وعلم أنّه يدركهم ويمكنه غياثهم، لزمه أيضاً الخروج إليهم، فالمسلمون كلّهم يد على من سواهم، حتّى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية الّتي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج .إنتهى

3- مذهب الشافعية : قال الإمام النّووي في كتابه المنهاج : يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن فإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتّى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن ، وقيل إن حصلت مقاومة بأحرار اشترط إذن سيده ، وإلاّ

[118] - و لله الحمد و المنّة كنتُ قد جمعتُ مسائل كثيرة فيما يتعلّق بمسألة الجهاد في بحث ، و سمّيته : فقه الجهاد .
[119] - بدائع الصنائع 97/7
[120] - الكافي 205/1

فمن قصد دفع عن نفسه بالممكن إن علم أنّه إن أخذ قتل وإن جوز الأسر فله أن يستسلم ، ومن هو دون مسافة قصر من البلدة كأهلها ومن على المسافة يلزمهم الموافقة بقدر الكفاية إن لم يكف أهلها ومن يليهم ، قيل وإن كفوا ولو أسروا مسلماً فالأصح وجوب النهوض إليهم لخلاصه إن توقعناه .إنتهى

4- مذهب الحنابلة : قال الزركشي الحنبلي [121] : إذا نزل الكفار ببلد تعيّن على أهله قتالهم، والنفير إليهم، لأنّهم في معنى حاضري الصفّ فتعيّن عليهم، كما يتعيّن عليه لعموم : " إنفروا خفافاً وثقالاً... الآية .إنتهى

إكتفيتُ بذكر المذاهب الأربعة و إلاّ فثمّة أقوالا كثيرة من علماء آخرين كعلماء الحديث و علماء الظاهر ، و كلّهم على رأي واحد .

هل جهاد الدّفع له شروط ؟

جعل بعض المعاصرين شروطا لم يُسبقوا إليها في جهاد الأمريكان خصوصا ، لأنّهم هم أنفسهم لم يشترطوا هذه الشروط في جهاد السوفيات لمّا كانوا يحتلّون أرضنا ، و لم يشترطوا هذه الشروط في جهاد الصليبيين أيّام البوسنة و الهرسك ، لكنّهم إشترطوا شروطا ما أنزل الله بها من سلطان لمّا كان الأمر متعلّق بأمريكا ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله ، و من أفضل من يُجيب عن هذا السؤال هم علماء السلف الأبرار .

1- الإمام الكاساني رحمه الله تعالى : قال[122] الكاساني : فأمّا إذا عمّ النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يُفترض على كلّ واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى : " انفروا خفافاً وثقالاً "، قيل: نزلت في النفير، وقوله سبحانه وتعالى : " ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " ، ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت، لأنّ السقوط عن الباقين بقيام البعض به، فإذا عمّ النفير لا يتحقق القيام به إلاّ بالكلّ، فبقي فرضاً على الكلّ عيناً بمنزلة الصوم والصلاة فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها، لأنّ منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناه عن ملك المولى والزوج شرعاً، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة والله سبحانه وتعالى أعلم .إنتهى

2- شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله تعالى ، قال[123] : وأمّا قتال الدفع فهو أشدّ أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدّين فواجب إجماعاً ، فالعدو الصائل الذي يفسد الدّين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك علماء أصحابنا وغيرهم " وقال " وإذا دخل

[121] - شرح مختصر الخِرَقي (6 / 428)
[122] - بدائع الصنائع 97/7
[123] - الفتاوى الكبرى (الاختيارات) 520/4

العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنّه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب ، إذ بلاد الإسلام كلّها بمنزلة البلدة الواحدة ، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا. إنتهى

3- الإمام إبن القيّم رحمه الله تعالى ، قال في كتابه الفروسية : فمن المعلوم أنّ المجاهد قد يقصد دفع العدوّ إذا كان المجاهد مطلوبا و العدوّ طالبا ، و قد يقصد الظفر بالعدوّ إبتداء إذا كان طالبا و العدوّ مطلوبا ، و قد يقصد كلا الأمرين ، فالأقسام الثلاثة يؤمر المؤمن بالجهاد ، و جهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب فإنّه يشبه دفع الصائل ، و لهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه كما قال تعالى : " أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا " فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب و أعمّ وجوبا ، و لهذا يتعيّن على كلّ أحد ، فيجاهد فيه العبد بإذن سيّده و بدون إذنه ، و الولد بدون إذن والديه ، و الغريم بدون إذن غريمه ، و هذا جهاد المسلمين يوم أحد و الخندق ، و لا يشترط في هذا الجهاد أن يكون العدوّ ضعفي المسلمين فما دون ، فإنّهم كانوا يوم أحد و الخندق أضعاف المسلمين و كان الجهاد واجبا عليهم لأنّه جهاد و ضرورة و دفع لا جهاد و إختيار ، و معلوم أنّ الجهاد الّذي يكون فيه الإنسان مطلوبا لا طالبا أوجب من الجهاد الّذي هو فيه طالبا لا مطلوبا . إنتهى

أمّا من يشترط الرّاية :

4- قال أبو العزّ الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية : إشتراط وجود الإمام سواء كان إماما عامّا للمسلمين جميعا أو إمام لطائفة منهم من أجل الجهاد في سبيل الله لم يقل به عالم من أهل السنّة و الجماعة قط ، و إنّما هو قول الرافضة الّذين قالوا لا قتال إلاّ بظهور الرضى من آل محمد . إنتهى

5- قال العلاّمة عبد الرحمن آل الشيخ : بأيّ كتاب أم بأيّ حجّة أنّ الجهاد لا يجب إلاّ مع إمام متّبع ؟ هذا من الفرية في الدّين ، و العدول عن سبيل المؤمنين ، و الأدلّة على بطلان هذا القول أشهر من أن تذكر ، فكلّ من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله ، و أدّى ما فرضه الله ، و لا يكون إمام إلاّ بالجهاد ، لا أن يكون جهادا إلاّ بإمام . إنتهى

و أضاف رحمه الله مستدلاّ بقصّة أبي بصير : فهل قال له رسول الله أخطأتم في قتال قريش لأنّكم لستم مع إمام ؟ سبحان الله ما أعظم مضرّة الجهل على أهله عياذا بالله من معارضة الحق بالجهل و الباطل . إنتهى

تنبيه مهمّ

إنّ ممّا يستدعي الإستغراب أنّ التشكيك في جهاد المحتلّ المعاصر أقصد أمريكا لم يكن موجودا في السنوات الماضية القليلة ، أيّام جهاد الأفغان ضدّ السوفيات ، و جهاد البوسنة ضدّ الصرب الصليبي ، و جهاد الشيشان ضدّ الروس ، فالمسألة يومها كانت محلّ وفاق من طرف كثير من العلماء لا سيما علماء

الحجاز ، لكن ما إن صار الجهاد ضدّ الأمريكان ليس لكونهم أمريكان بل لأنّهم إحتلّوا أراضينا و إنتهكوا أعراضنا ، و نهبوا ثرواتنا ، لمّا رُفع لواء الجهاد ضدّ هؤلاء الأعداء صرنا نسمع شروطا و تشكيكا في مشروعية الجهاد ضدّ الأمريكان ، فعرفنا أنّ المسألة ليست مسألة فقهية ، بل هي مسألة سياسية ، إذ صار الأمر متعلّق بالولاء المُعطى لأمريكا من طرف الحكام و خاصّة حكام المملكة العربية السعودية.

و حتّى يكون القارئ في الصورة أورد فتاوى الشيخ إبن باز رحمه الله تعالى في قضايا الجهاد حتّى يعلم مريد الحق أنّ المسألة ليست مسألة شروط و حكم الجهاد ، بل مسألة نصرة أمريكا على المسلمين ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

- في قضية فلسطين : نوعية جهاد الفلسطينيين[124]

السؤال : ما تقول الشريعة الإسلامية في جهاد الفلسطينيين الحالي،هل هو جهاد في سبيل الله ، أم جهاد في سبيل الأرض والحرية ؟ وهل يعتبر الجهاد من أجل تخليص الأرض جهادا سبيل الله ؟

الجواب من الشيخ إبن باز : لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات أن الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواص المسلمين هناك وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود؛ ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة . وقد أخبرنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن حماسهم الإسلامي وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم ، فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم ليتخلصوا من عدوهم وليرجعوا إلى بلادهم عملا بقول الله عز وجل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " ، وقوله سبحانه : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " ، الآيات وقوله عز وجل :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " ، والآيات في هذا المعنى كثيرة

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " ، ولأنهم مظلومون ، فالواجب على إخوانهم المسلمين نصرهم على من ظلمهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو

[124] - مجلة الدعوة الصادرة في 9 / 8 / 1409 هـ ، مجموع فتاوى و مقالات (4 / 295)

المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " متفق على صحته ، وقوله صلى الله عليه وسلم " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " قالوا يا رسول الله نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فذلك نصرك إياه " ، والأحاديث في وجوب الجهاد في سبيل الله ونصر المظلوم وردع الظالم كثيرة جدا . فنسأل الله أن ينصر إخواننا المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وفي غيرها على عدوهم ، وأن يجمع كلمتهم على الحق ، وأن يوفق المسلمين جميعا لمساعدتهم والوقوف في صفهم ضد عدوهم ، وأن يخذل أعداء الإسلام أينما كانوا وينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين إنه سميع قريب . إنتهى

- قضية جهاد الأفغان ضدّ الإتحاد السوفياتي :

* السؤال الرابع[125] : ما هي المسئوليات التي تجب علينا نحو الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وما هي الجهود التي قمتم بها في هذا الصدد حتى الآن؟

الجواب من الشيخ إبن باز: لا ريب أنّ الجهاد في أفغانستان جهاد إسلامي يجب أن يشجع ويدعم من المسلمين جميعا؛ لأنهم مسلمون يقاتلون عدوا شرسا خبيثا من أكفر الكفرة وأرذلهم، ومن أقواهم فيما يتعلق بالقدرة الحسية فليس هناك تكافؤ بين القوتين ، ولكن نصر الله وتأييده لإخواننا المجاهدين ، فالواجب على أهل الإسلام جميعا أن يساعدوهم وأن يعينوهم بالمال والنفس والرأي والشفاعة وكل ما يعد دعما لهم وإعانة ، هذا هو الواجب على المسلمين جميعا ، وقد قامت الدولة وفقها الله بتشجيع الشعب السعودي على مساعدتهم ، وقد حصل من ذلك مساعدات كثيرة للمجاهدين عن طريق الشعب وغيره ، ولا نزال مستمرين في هذا الأمر مع إخواننا في هذه المملكة والدولة وفقها الله تشجع الشعب على ذلك وتعين على إيصال هذه المساعدات إلى المجاهدين والمهاجرين؛ لأنهم بحاجة شديدة إلى ذلك . وهذا حق على الجميع ، نسأل الله أن يعيننا على الاستمرار وأن ينصر إخواننا وأن يعينهم على ما فيه نجاتهم وسعادتهم ونصرهم على عدوهم ، وأن يذل أعداء الإسلام أينما كانوا ، وأن يكبتهم وأن يعين عليهم ، وأن يضاعف أجر كل من ساعدهم ، إنه خير مسئول . إنتهى

* سؤال (1)[126]: نرجو من سماحتكم إعطاء كلمة الفصل حول فرضية الجهاد ؟

ج1 : الجهاد الأفغاني جهاد شرعي لدولة كافرة[127] ، فالواجب دعمه ومساعدة القائمين به بجميع أنواع الدعم ، وهو على إخواننا الأفغان فرض عين للدفاع عن دينهم وإخوانهم ووطنهم ، وعلى غيرهم فرض كفاية ، لقول الله عز وجل " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " ، وقوله سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي

[125] - لقاء مجلّة تكبير الباكستانية مع الشيخ ، مجموع فتاوى و مقالات (2 / 452)
[126] - لقاء مجلّة المجاهد مع الشيخ ، مجموع الفتاوى و المقالات (5 / 151)
[127] - فكيف بالله عليكم صار اليوم الجهاد غير شرعي في الأفغان و في العراق كما أفتى بعضهم ؟ ، إنّه الجهاد ضدّ أمريكا . .

سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي تعم إخواننا المجاهدين في أفغانستان وجميع المجاهدين في سبيل الله في فلسطين والفلبين وغيرهم . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " ، ونسأل الله أن يوفق إخواننا المجاهدين في سبيله في بلاد الأفغان وغيرها للنصر المؤزر وأن يعينهم على جهاد أعداء الله ويثبت قلوبهم وأقدامهم ويجمع كلمتهم على الحق وأن يخذل أعداء الله أين ما كانوا ويجعل الدائرة عليهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .إنتهى

⊡ *قضية البوسنة و الهرسك : نداء عام إلى الحكومات والشعوب الإسلامية لمساعدة المسلمين في البوسنة والهرسك .*

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن نصر دينه واتبع هداه أما بعد . . فإني أهيب بجميع الحكومات والشعوب الإسلامية وبجميع الدول المحبة للسلام ونصر المظلوم بأن يمدوا المسلمين في البوسنة والهرسك وأعوانهم بما يعينهم في حرب عدوهم من الصرب وأنصارهم بالرجال والمال والسلاح والدعاء[128] ؛ لأنهم مظلومون ومعتدى عليهم ، ولم تزل حكومة الصرب وأنصارها مستمرة في العدوان والظلم والتقتيل والتخريب ، ولا يخفى على كل مسلم وعلى كل منصف ما في ذلك من الظلم العظيم والعواقب الوخيمة على المسلمين في البوسنة والهرسك وأعوانهم ، والله سبحانه أوجب في كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين جهاد الأعداء ونصر المظلوم فقال سبحانه : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " ، وقال تعالى : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " وقال تعالى : " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ " ، الآية . فإذا كانت الفئة الباغية من المؤمنين يجب أن تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله فالفئة الباغية الكافرة أولى وأحق بأن تقاتل حتى تكف عن ظلمها وعدوانها . وقال عز وجل : "وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ " الآية . وهؤلاء المسلمون وأعوانهم في البوسنة والهرسك قد استنصروا بإخوانهم المسلمين ، وبكل من يحب السلم والعدل . فالواجب نصرهم والوقوف في صفهم ضد العدوان والظلم حتى تقف الحرب ويحصل الصلح بينهم وبين عدوهم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم " وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصر المظلوم " ، والآيات والأحاديث في وجوب جهاد الأعداء ونصر المظلوم كثيرة جدا ، فالواجب على جميع الحكومات والشعوب الإسلامية مناصرة المظلومين بالرجال والسلاح والمال والدعاء حسب الطاقة لقول الله سبحانه : " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " ولقوله عز

[128] - أين مثل هذا النداء لإستغاثة الشعب العراقي المظلوم من طرف الأمريكان ، و أين مثل هذه الإستغاثة عمّا يجري لشعب الأفغاني من طرف الأمريكان و حلفاؤه ، بل صار الدعاء على أمريكا من التجاوزات يُعاقب عليها القانون في الحرم المكّي و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

وجل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ " وقوله سبحانه : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " ، وفق الله المسلمين جميعا لما يرضيه ، ونصر بهم الحق وأعانهم على كل مل فيه رضاه ، وصلاح أمر عباده ، ونصر المظلوم ، وردع الظالم إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .إنتهى

▣ قضية الشيشان : مناشدة المسلمين لمساعدة الشيشان[129]

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك الله بنا وبهم سبيل عباده الصالحين ، وجعلنا وإياهم من أنصار دينه القويم . آمين

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد قال الله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " ، وقال عز وجل : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " ، وقال عز وجل : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "- وشبك بين أصابعه - ، وقال صلى الله عليه وسلم : " من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخيرفقد غزا "، وقال صلى الله عليه وسلم: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " ، والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والإنفاق فيه والتشجيع على ذلك كثيرة معلومة . ولذا فإن من واجب المسلمين المسارعة إلى نجدة إخوانهم الذين يتعرضون للظلم والعدوان ، ومن هؤلاء إخوانكم في الشيشان يقاومون اعتداء روسيا على بلادهم ، ويحتاجون إلى مد يد المساعدة لهم؛ حتى يتمكنوا من مقاومة أعدائهم الذين يملكون العدة والعتاد ؛ فمساعدة المجاهدين بالنفس والمال من أفضل القربات ومن أعظم الأعمال الصالحات ، وهم من أحق الناس بالمساعدة من الزكاة وغيرها ، وهم في أشد الضرورة إلى دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم في قتال عدوهم عدو الإسلام والمسلمين ، وتطهير بلادهم من رجس الكفرة من الشيوعيين وغيرهم ؛ والواجب على إخوانهم المسلمين من الحكام والأثرياء أن يدعموهم ، ويعينوهم ، ويشدوا أزرهم ، وإني أهيب بجميع إخواني المسلمين من رؤساء الحكومات الإسلامية وغيرهم من الأثرياء في كل مكان بأن يقدموا لإخوانهم المسلمين الشيشان مما

[129] - نشرت في جريدة اليوم في العدد (7974) ليوم السبت الموافق 15 / 11 / 1415 هـ

آتاهم الله من فضله ، ومن الزكاة التي فرضها الله في أموالهم حقا لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة وهم : ثمانية ، قد دخل إخواننا المجاهدون في الشيشان في ضمنهم ؛ والله تبارك وتعالى قد فرض حقا في مال الغني لأخيه المسلم في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، كقوله سبحانه : "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " ، وقوله تعالى : " آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ " ، وقوله سبحانه : " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " ، وقوله سبحانه : " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " ، وهو سبحانه يثيب المسلم على ما يقدم لإخوانه ثوابا عاجلا ، وثوابا أخرويا يجد جزاءه عنده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، كما أنه يدفع عنه في الدنيا بعض المصائب التي لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان لحلت به أو بماله فدفع الله شرها بصدقته الطيبة وعمله الصالح ، يقول الله عز وجل : " وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا " ويقول عز وجل : " وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما نقص مال من صدقة "ويقول صلوات الله وسلامه عليه : " الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار " ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " اتقوا النار ولو بشق تمرة " ، وإخوانكم في الشيشان : أيها المسلمون ، يقاسون آلام الجوع والجراح والقتل والتشريد ، فهم في أشد الضرورة إلى الكساء والطعام وفي أشد الضرورة إلى الدواء ، كما أنهم في أشد الضرورة إلى هذه الأشياء وإلى السلاح الذي يقاتلون به أعداء الله وأعداءهم ، فجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله ، واعطفوا عليهم يبارك الله لكم ويخلف عليكم ويضاعف لكم الأجور،وهذه النفقة تؤجرون عليها وتخلف عليكم ، كما تقدم في قوله سبحانه : " وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا " ، وفي قوله سبحانه : " وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : " يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنفق ننفق عليك " ، ونسأل الله عز وجل أن يضاعف أجر من ساهم في مساعدة إخوانه المجاهدين ويتقبل منه ، وأن يعين المجاهدين في الشيشان وسائر المجاهدين في سبيله في كل مكان على كل خير ، ويثبت أقدامهم في جهادهم ، ويمنحهم الفقه في الدين والصدق والإخلاص ، وأن ينصرهم على أعداء الإسلام أينما كانوا . إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه إلى يوم الدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إنتهى

نتيجة البحث

بعد هذا السرد و التحقيق تبيّن أنّ جهاد الغزاة ، أو ما يُعرف في كتب الفقه بجهاد الدفع هو واجب بنصّ القرآن و السنّة ، و إجماع العلماء كما حكاه شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله تعالى ، فالمسألة هذه من الثوابت الشرعية الّتي لا تتغيّر بسياسة حاكم و لا بفتوى عالم .

مُؤَسَّسَةُ القَيْرَوَانَ الإِعْلَامِيّة

ثـمّ رأينـا كيـف كـان العلمـاء و الـدعاة متّفقـون فـي جهـاد الأفغـان ضـدّ الإتحـاد السوفياتي ،

و فـي جهـاد الشيشـان ضـد الـروس فـي مراحلـه الأولـى، و جهـاد البوسـنة ضـدّ الصرب والكروات ،

ثمّ عجبا كيف تحوّل هذا الإتفاق إلـى شقاق ، و الّذي يتأمّل مجريات الأحداث يعلم سرّ ذاك الإتفاق و سرّ ذاك الشقاق ، كان الإتفاق في مشروعية الجهاد لمّا كان تأييد الجهاد لدى بعض أولئك في سبيل أمريكا ، و لمّا صار هذا الجهاد إلى جهاد أميركا نفسها صار الجهاد جريمة و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

فعار على من جعل جهاد الأعداء جريمة ، و الله جعله حياة لهذه الأمّة ، قال الإمام إبن كثير في قول الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " ، هو الجهاد في بسبيل الله تعالى .

عار على من جعل جهاد الأعداء تهوّر ، و النبيّ عليه الصّلاة و السّلام جعله سبب عزّة هذه الأمّة ، جاء في الحديث الصحيح أنّه عليه الصّلاة و السّلام قال: "ما ترك قوم الجهاد إلاّ ذلّوا "

و تأمّل في الختام إلى كلمة الإمام إبن القيّم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد :

و لمّا كثُر المدّعون للمحبّة طولبوا بإقامة البيّنة على صحّة الدعوى فلو يُعطى الناس بدعواهم لإدّعى الخليّ حرفة الشجيّ ، فتنوّع المدّعون في الشهود ، فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلاّ ببيّنة " قل إن كنتم تحبّون الله " الآية فتأخّر الخلق كلّهم و ثبت أتباع الرسول في أفعاله و أقواله و هديه و أخلاقه ، فطولبوا بعدالة البيّنة ، و قيل لا تُقبل العدالة إلاّ بتزكية " يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم " فتأخّر أكثر المدّعين للمحبّة و قام المجاهدون ، فقيل لهم " إنّ الله إشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة " التوبة إنتهى

Al-Qayrawan

رابعا: مسألة الطائفية

يقصدون بالطائفية ، ما يجري في عراق الرّشيد ، حيث نسب بعض من لا يعرف حقيقة الواقع أنّ فئة "التكفيريين" يقتلون الشيعة و يفجّرون ما يُسمّى عند الشيعة بالحسينيات (و أكثر هذه الحسينيات كانت مساجد أهل السنّة قبل غزو الأمريكان للعراق و إستلاء الروافض عليها و الله المستعان) ، و الّذي يُريد فعلا معرفة الحق في هذه المسألة لا بدّ له أن يعلم الواقع فهو شرط في إنزال الحكم في مثل هذه الأمور .

أوّلا : علمنا سابقا حكم قتال من غزا أرضنا و إنتهك عرضنا أنّ قتاله فرض عين بالإجماع ، وهذا الحكم منطبق على من وقف في صف العدو و قاتل معه ، فالمسألة ليست متعلّقة بالطائفية و لا بالنزعة المذهبية ، فكلّ من يقف في صفّ المحتل يُعامل معاملة المحتلّ ، هذا الأمر متّفق عليه في كلّ الحروب من أجل التحرير ، فالجزائر عرفت هذا النمط من الناس و كان مجاهدونا يلقّبونهم "الحَرْكَة " و هم إلى الآن ممنوعون من الدخول إلى الجزائر رغم أنّهم جزائريون لكنّهم خونة ، فالمسألة ليست مسألة شيعة و سنّة ، بل هذا من مقتضيات الحرب ، لا يُخالف فيها إلاّ مكابر .

ثانيا : تكلّمت بعض التقارير أنّ من يقوم بتفجيرات الحسينيات هم الأمريكان ، و في الوقت نفسه أعلن المجاهدون براءتهم من مثل هذه الأعمال ، فلماذا يأبى البعض إلاّ إلصاقها بالمجاهدين ؟!

أخبر الكاتب الأمريكي المشهور " روبرت فيسك " و بالأدلّة أنّ الجيش الأمريكي هو خلف تفخيخ السيارات وسط الناس في الأسواق ، و قصّة أختنا عبير و عائلاتها بمنطقة المحمودية ليست عنّا ببعيد ، حيث قام جنود من الجيش الأمريكي بإغتصاب الأخت عبير – 15 عام – بعدما قتلوا أباها و أمّها و أختها الصغيرة ، و بعد إغتصابها قاموا بقتلها ، ثمّ أحرقوها ،و بعد الإنهاء من هذا الإجرام الوحشي ، طوّقوا المنطقة برفقة الجيش العراقي و أعلنوا أنّ المجاهدين هم أصحاب هذه العملية ، و شاء الله تعالى أن يكشف حقيقة هذه المجزرة ، فما كان من النظام الأمريكي الإرهابي إلاّ أن يعلن بصحّة هذا الأمر أي أنّ بعض جنوده من قام بهذا الفعل .

و مثل ذلك وقع في منطقة حديثة حيث قتل جنود الأمريكان عدّة أفراد من الأبرياء منهم طفلة رضيعة برصاص ثمّ ألصقوا التهمة بالمجاهدين فشاء الله تعالى أنّ يكشف الأمر بأنّ هذا من صنع الأمريكان و إعترف العدوّ بجرمه .

هذه الأمثلة و أمثالها العشرات لتشويه عمل المجاهدين أوّلا ، ثمّ لتبرير محاربتهم للإسلام ثانيا.

ثالثا : أقول لماذا لم يظهر هذا النوع من القتال الطائفي إلاّ بعد غزو العراق ، فإذا كان السنيّ يَقتل على الهويّة فأهل السنّة منتشرون في كلّ بقاع الأرض و لم نسمع في أدابيات كلّ الجماعات السنّية بما فيها تنظيم القاعدة تحريض على قتل الشيعة لأنّهم شيعة.

و في المقابل نجد من معتقدات الشيعة الروافض قتل أهل السنة ، بل ثمّة تصريحات بعض مشايخ الروافض على قتل أهل السنّة في العراق كما إعترفت تقارير أمريكية و أخرى سنّية و أخرى كردية بل و حتّى من بعض الشيعة أنّ بعض ميليشيات الروافض إخترقت أجهزة الأمن الداخلي العراقي و يقومون بتصفية أهل السنّة العُزّل ، و المتورّطون في هذه الحملات الإجرامية الطائفية:

1.مقتدى الصدر ثمّة أدلّة بالصّورة و الصوت يأمر مقتدى الصدر أتباعه من الجيش المهدي إختراق الجيش العراقي لتصفية أهل السنّة بتلعفر.
2.آل الحكيم ، و حزب الدّعوة يوجد أدلّة على قيادات حزب الدّعوة و هو الحزب الحاكم في العراق أنّهم عذّبوا و سجنوا أهل السنّة.
3.أحد كبار مراجع الرافضة الشيرازي بالصوت عندنا يأمر أتباعه بحرق مساجد أهل السنّة و أنّ هذا من شروط الإسلام ، و جعل تمام الحكم بالإسلام هو هدم مساجد أهل السنّة .
4.علي السيستاني المرجع البارز في العراق ، و الّذي يزور موقعه يرى العجب في تكفير أهل السنة ، و إباحة قتلهم .

و ممّا جاء عن علماء الشيعة :

- عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد اللّه: ما تقول في قتل النواصب؟ ،فقال: حلال الدّم ولكنّي اتقّي عليك،فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك فافعل.[130] علّق الخميني على هذا بقوله: وإن استطعت أن تأخذ ماله فخذه، وابعث إلينا بالخمس اهـ

- و قال الخميني للسيد حسين الموسوي كما في كتاب كشف الأسرار لحسين الموسوي: سيّد حسين آن الأوان لتنفيذ وصايا الأئمة صلوات اللّه عليهم، سنسفك دماء النواصب-يعني أهل السنة-، نقتل أبناءهم ونستحي نساءهم، ولن نترك أحدًا منهم يُفلت من العقاب، وستكون أموالهم خالصة لشيعة أهل البيت، وسنمحو مكة والمدينة من وجه الأرض لأنّ هاتين المدينتين صارتا معقل الوهابيين، ولابدّ أن تكون كربلاء أرض اللّه المباركة المقدسة، قبلة للنّاس في الصلاة وسنحقق بذلك حلم الأئمة، لقد قامت دولتنا-يعني إيران- التي جاهدنا سنوات طويلة من أجل إقامتها وما بقي إلاّ التنفيذ.اهـ

[130] - بحار الأنوار [231/27].

حتّى القبلة لا يؤمنون بها وما ذهب إليه الخميني في شأن الكعبة لم ينفرد به بل ذهب إليه كذلك من قبله الفيض الكاشاني[131] .

- و روى المجلسي[132] : ما بقي بيننا وبين العرب إلاّ الذبح.

روى كذلك في نفس المصدر : أنّ المنتظر يسير في العرب بما في الجفر الأحمر[133] وهو قتلهم.

وروى كذلك في نفس المصدر ورواه الطوسي[134] : ،أنّ القائم وهو المنتظر عندهم يهدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه والمسجد النبوي إلى أساسه.اهـ

وتُحدِّثُنا كتب التاريخ عمّا جرى في بغداد عند دخول هولاكو الوثني فيها، فإنّه ارتكب أكبر مجزرة بحيث صبغ نهر دجلة باللون الأحمر لكثرة من قتل من أهل السنّة، وصبغ مرّة أخرى باللون الأزرق لكثرة الكتب التي ألقيت فيه وذلك بتحريض من وزيرين كانا عند الخليفة العباسي وكانا شيعيين كانت تجري بينهما وبين هولاكو مراسلات سرّية لإقناع هولاكو في إسقاط الخلافة العباسية لأنّها من أهل السنّة، ونجح هولاكو في إسقاطه للخلافة بدعم من الوزيرين الشيعيين وهما الطوسي ومحمد بن العلقمي. والخميني يعتبر ما قاما به من أعظم الخدمات لدّين الإسلامي.

من خلال هذا العرض من هم الّذين يقتلون على أساس الهويّة نحن أم الّذين يتّهمنا ظلما و كذبا ؟! حتّى صار الآن في العراق من ينادي بتقسيم العراق على أساس الطائفية و هذا علنا ، فمن الطائفي بعد هذا ؟!.

فلماذا يأبى البعض إلاّ إلصاق هذه التهمّة بالمجاهدين، رغم وجود هذه الحقائق ؟!

رابعا : من الأدلّة الواقعية أنّنا لسنا طائفيين كما يريد أن يصوّره المخالف ، إنّنا كأهل السنّة عموما و المجاهدون خصوصا بما فيهم تنظيم القاعدة كلّهم تفاعلوا لمّا غزا الصهاينة جنوب لبنان و لم نجعل أنّ هذا الأمر يخصّ الشيعة ، لكن في المقابل أنظروا لمّا ضُربت أفغانستان ذات الحكم السنّي ، أو العراق في الضواحي السنّية كالفلّوجة ، ماذا كان موقف الشيعة ؟ كان موقفهم أنّهم كانوا في صفّ العدوّ يقتلون أهل السنّة .

نتيجة البحث

131 - كتاب الوافي[215/1]
132 - بحار الأنوار[349/52]
133 - هو أحد كتب الشيعة المقدّسة ، راجع بحثي هؤلاء هم الروافض فحذرهم
134 - كتابه الغيبة[272]

أنّنا مهما إختلفنا مع الروافض لا أحد من علماء أهل السنّة أفتى بجواز قتلهم لكونهم أصحاب فكر و عقيدة معيّنة ، بل هذا محرّم في شريعتنا ، بخلافهم هم فهم الّذين يرون مشروعية قتل السنّي كلّما تسمح لهم الفرصة كما رأينا بالأدلّة من كتبهم و سمعنا من أفواه شيوخهم ، و مع ذلك نسمع بعض أجهزة الإعلام تفتري على أهل السنة الكذب بأنّهم أصحاب فتاوى في مشروعية قتل الشيعة .

فلا يجوز عندنا قتل أحد من أهل الطوائف مهما إختلفنا معهم إلاّ إذا إعتدوا علينا فنعتدي عليهم بمثل ما إعتدوا علينا دفاعا عن أنفسنا ، هذا ما يجب أن يُعلم.

Al-Qayrawan

باب: ماذا بعد ؟ .. فماذا تنقمون منّا ؟

بعد هذا البيان و التوضيح للمسائل العلمية و الّتي من أجلها وقع التصنيف ، و بعد تجلية الأمر أنّ هذه المسائل قد أشبعها سلفنا بحثا و دراسة ، فما كان منّا إلاّ إتّباعهم ، و سلوك منهجهم ففي ذلك الفلاح في الدّنيا و الآخرة ، فماذا ينقم منّا المخالفون ؟ .

تعيش الأمّة منذ عقود مختلف الأزمات ، تفاقمت يوم أن فقدت خلافتها و إستولى العدوّ الصليبي الصهيوني على أراضيها ، ثمّ نصّب من يرضاه لخدمة و رعاية مصالحه قبل خروجه خروج الذليل من هذه الأراضي ، في ظل هذه الأزمات و أهمّها و أخطرها أزمة بُعد الأمّة عن دينها ، هذا البُعد عن الدّين أخذ أشكالا و ذرائع ، فمن هذه الأشكال :

1) من تبنّى أفكارا علمانية بُغية إبعاد الدّين عن تنظيم الحياة أو إبعاده عن ضبط سياسة الأمّة ، سواء تحت إيديولوجية الإشتراكية ، أو الشيوعية ،أو الرأسمالية، كلّ ذلك بغطاء الديمقراطية ، و رعاية الحرّيات ، و مواكبة العصر.

2) و صنف إبتعد عن تعاليم الشرع بتبنّي أفكارا تُنسب إلى الشّرع و هو منها براء ، و هي كلّ الأفكار و الأطروحات التي يراد تفسير نصوص بها ، بل أقول إخضاع الشرع لها ، أفكار تصطدم بالشرع ، مخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمّة ، و هذا تحت مظلة التطوّر تارة ، و تقليد الأجداد تارة أخرى.

في ظل كلّ ذلك و تكالب الأعداء كذلك يأبى الله إلاّ أن يُبقي منار الإسلام عالية بفضله سبحانه ثمّ بتسخير الله رجالا يدافعون عن دين الله باللسان و السنان .

و هذا ما أخبرنا به رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بقوله : " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم ، و لا من خذلهم ".

إلاّ أنّ الله تعالى شاء لحكمة بالغة ، أنّ أكثر النّاس يصدّون عن الحق ، فتارة بسبب الجهل ، و تارة بسبب العناد ، و تارة بسبب الكبر ، فصار هؤلاء الصادّون عن الحق ينقمون من أهل الحق ، و لمّا كانوا أصنافا متنوّعة أحببت أن أوجّه كلمة لكلّ صنف عن ماذا ينقمون منّا ،

و كان من المفروض أن نقف صفا واحدا لنصدّ العدوان بكلّ أشكاله عن هذه الأمّة و عن دينها تحت مظلّة القرآن و السّنة و على فهم سلف هذه الأمّة مراعين في ذلك الفرق بين ثوابت الشريعة و متغيّراتها ، ألسنا مسلمين ملتزمين بشريعة الله أحكم الحاكمين ؟ ، أم هو إسلام على الطريقة العلمانية ، فاعلموا أنّ الله لا يقبل إلاّ إسلاما الّذي كمّله هو سبحانه و رضيه لنا ، فمن إبتغى غيره لا يُقبل منه و هو من الخاسرين ؛ كلامي موجّه إلى من يُنتسب إلى الإسلام وليس إلى الكفار الأصليين فقد بيّن سبحانه لماذا هؤلاء ينقمون منّا، فقال سبحانه : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ

(59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ".

و على هذا الأساس قال تعالى مبيّنا نفسية هؤلاء الكفرة : " وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ" و قال تعالى : " وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ " .

فمن خلال هذه الآيات يتّضح " أنّ المعركة بين المؤمنين و خصومهم هي في صميمها معركة عقيدة و ليست شيئا آخر على الإطلاق ، و إنّ خصومهم لا ينقمون منهم إلاّ الإيمان ، ولا يسخطون منهم إلاّ العقيدة ، إنّها معركة ليست معركة سياسية ، و لا إقتصادية، ولا عنصرية ، و لو كانت شيئا من هذا لسهل وقفها ، و سهل حلّ إشكالها ، و لكنّها في صميمها معركة عقيدة ، إمّا كفر و إمّا إيمان ، إمّا جاهلية و إمّا إسلام "[135] .

فلستُ هؤلاء الكفار أقصد ، بل أقصد من ينتسب إلى الإسلام ، و من هؤلاء :

❷ إلى الحكّام : ماذا تنقمون منّا ، هل تنقمون منّا أن عارضنا قوانينكم المخالفة لشريعة الله تعالى ، و نبذناها و تبرّأنا منها ، لأنّها قوانين بشرية إستغلالية موضوعة لخدمة طبقة معيّنة و جهات معيّنة ، و أنّها معارضة لشريعة الله تعالى ؛ ألستم تسمحون بالتعددية الفكرية حتّى سمحتم للأفكار الإشتراكية ، و للأفكار الشيوعية ، و للأفكار اللبرالية ، كما سمحتم للإباحية و العلمانية ، فمالكم تخافون من الإسلام مع أنّ الإسلام ليس هو مجرد أفكار قابلة للنقاش بل هو قانون ربّاني مأمورون بتطبيقه ، و عجبا كيف تحرصون على تطبيق ما يسمّى بالشرعية الدولية ، و في المقابل تحاربون شريعة ربّ البرية ، ثمّ نتعجب لمّا تحتجون على صنيعكم هذا بأنّ الشعب كلّه مسلم و لا تحتاجون من يعلّم الشعب الإسلام ، و هذه حجّة عليكم لو كنتم تعقلون ، ربّما لا تحتاجون من يعلّمكم دينكم ، و لكن في ما سمحتم به من الأفكار فالشعب يحتاج من يحافظ عليه دينه و يدافع عنه ، لأنّ هذه الأفكار كلّها قائمة على محاربتها للدّين ، ثمّ إذا ترسّخت هذه الأفكار الّتي سمحتم بنشرها فستحتاج الأمّة من يعلّمها دينها .

ماذا تنقمون منّا ؟ ، فهل تنقمون منّا أن طلبنا التحاكم لشريعة الله في مسائل الإقتصاد و توزيع الثروات ، و في مسائل التعليم و الثقافة و المحافظة على الثوابت ، و في الشؤون الدّاخلية و المحافظة على أمن المواطن ، و في الشؤون الخارجية و نصرة قضايا الأمّة ؟ .

هل تنقمون منّا أن قرأنا عليكم قوله تعالى: " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ".

[135] ـ معالم في الطريق للأستاذ الكبير سيّد قطب رحمه الله تعالى .

و قوله : " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " .

و قوله : " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " .

و قوله : " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " .

ماذا تنقمون منّا ؟ ، هل تنقمون منّا أن نذرنا أنفسنا لنصرة ديننا ، و الدّفاع عن أراضي أمّتنا و عرضها .

هل تنقمون منّا أن دعونا الشعوب المسلمة إلى الوحدة تحت راية القرآن لصدّ العدوان المجتمع تحت راية الصليب ؟.

" وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (75) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً "

هل تنقمون منّا على عدم المبالاة بالقوانين الدّولية لمناقضتها لشريعة ربّ البريّة ، المنتهكة لقيمنا و أراضينا و ثرواتنا ، المحاربة لديننا .

" وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) "

فعلى ماذا تنقمون منّا ؟ ، أم ترون أنفسكم أنّكم تدركون مالا ندرك ، ثمّ تضحكون و تسخرون عمّا إنتقمتم علينا من أجله ؛ فإنّنا نبشّركم بموعد قريب ندرك يومها من يضحك على الآخر في الأخير .

" إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) "

❷ إلى الإعلاميين و المثقفين : أعلم أنّكم أصناف : صنف متسوّل باع قلمه لمن يحقق له رغباته ، فمن هذا الصنف من أراد أن يتودّد للغرب ليس على قناعة بل على طمع ، و منهم من يتودّد للأنظمة المستبدّة إمّا على خوف ، أو طمع كذلك ، هذا صنف المتسوّلين الّذين أرادوا أن يكونوا أبواقا لأسيادهم ؛ و صنف آخر له أفكار مقتنع بها إمّا أن تكون أفكارا علمانية مهما كانت الإديولوجية

الفكرية ، و إمّا أن تكون أفكارا ظاهرها إسلامية لكنّها تعمل على خذلان المسلمين .

فإلى كلّ هؤلاء أقول على ماذا تنقمون منّا ، هل تنقمون منّا على أنّنا لم نبع مبادئنا ، أم تنقمون منّا على أنّنا خالفنا أفكاركم ، أم تنقمون منّا أن سفّهنا أحلام بعضكم و كشفنا عوَر مناهجكم ، أم تنقمون منّا لمّا قرأنا عليكم قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ " .

فنقول لكم بيننا و بينكم كتاب الله إن كنتم مؤمنين :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " .

نقول لكم كما أمر الله نبيّه أن يقول لأهل الكتاب : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " .

❷ إلى مرجئة العصر ، و إلى مشايخ الإنهزام و الإنبطاح : الغريب تزعمون أنّكم متّبعون لمنهج السلف هكذا تكذبون على أتباعكم ، و قد خالفتم السلف في كثير من الأمور، و قد مرّ معنا بعض المسائل الّتي تزعمون أنكم موافقون فيها السلف فإذا أنتم مخالفون لإتفاقهم ، و هذا منكم كيد و مكر و تدليس على الأمّة .

تنقمون منّا على ماذا و أنتم خالفتم إجماعات السلف ، بل لعلّكم تتذرّعون بإتباع بعض علماء هذا العصر ، فمتى كان من منهج السلف مخالفة السلف بحجّة إتباع علماء الخلف ، متى كان من منهج السلف تحريف النصوص و مخالفة فهم السلف ، فلِما اللّوم منكم على الأشاعرة و الماتردية و ... الذين حرّفوا النصوص و خالفوا فهم السلف و أنتم تنتهجون منهجهم

مُؤَسَّسَةُ القَيْرَوَانَ الإِعْلَامِيّة

فقلبـــتم تلـــك الحقـــائق مثـــل مـــا قلبـــت قلـــوبكم عـــن الإيمـــان

و جعلـــتم الممـــدوح مـــذموما كـــذا بـــالعكس حتّـــى إســـتكمل اللبســـان

و أردتـــم أن تحمـــدوا بالإتبـــاع نعـــم لكـــن لمـــن يـــا فرقـــة البهتـــان

و بغيـــتم أن تنســـبوا للإبتـــداع عســـاكر الآثـــار و القـــرآن

باب: يا قومنا، الله الله في إسلامكم

هذا الّذي أوضحته من خلال كتاب الله تعالى ، و سنة محمد صلّى الله عليه و سلّم ، و هدي أسلافنا الصّالحين ، هو الّذي ندين الله به ، و نتقرّب به إليه سبحانه راجين رضاه ، و سائلينه الثبات و الإستقامة حتّى نلقاه وهو راضي عنّا ، و دين الله قد تكفّل الله بحفظه ، فلا التشويه ، و لا التقزيم ، و لا التحريش ، و لا الإنتقام يستطيع أن يصدّ عن سبيل الله ، فهذا دين العزيز الجبّار ، بل شاء الله تعالى كلّما ضاق على الحقّ إزداد إنتشارا و ظهورا ، حكمة الله و قدرة الله " يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير " .

هذا الدّين الحنيف و تعاليمه الربّانية لا ينبغي للمؤمن أن يتركها لأجل تشنيع المشنّعين ، و تلقيب المفترين ، و كيد الحاقدين ، فإن كان هذا الّذي أوضحته و هو ما كان عليه سلفنا رحمهم الله تعالى ذنبا فليشهد الثقلان أنّ من هذا الذنب لسنا نتوب.

أمّا منهج التقزيم و التشهير بإسم الجرح و التعديل ، فهذه شنشنة معروفة منذ أقزم ، يُراد من خلال هذا المنهج العيّان صدّ الناس عن الحق ، و ذلك بتنفيرهم عن أهل الحقّ ، و سبحان الله كما أخبر ربّنا " و تلك الأيّام نداولها بين النّاس " ، فتقزيم أهل الحق و تشويههم و نبزهم بالألقاب قديم ، فقد نبز الخوارج أهل الحقّ و كانت التهمة حبّ آل بيت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، فأجابهم الإمام الشافعي :

إن كـــان رفضـــا حـــبّ آل محمـــد فليشـــهد الـــثقلان إنّـــي رافضـــي

كما أنّ الرّوافض نبزوا أهل الحقّ و التّهمة حبّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، فأجابهم شيخ الإسلام إبن تيمية :

إن كـــان نصـــبا حـــب صـــحب محمـــد فليشـــهد الـــثقلان إنّـــي ناصـــبي

كما نبز المعطّلة أهل الحق و التّهمة هو أنّهم أثبتوا ما أثبته الله و رسوله من أسماء و صفات لله تعالى من غير تحريف و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل فأجابهم الإمام إبن القيّم كما في مختصر الصواعق المرسلة (ص : 110) :

فـــإن كـــان تجســيما ثبــوت إســتوائه علـــى عرشـــه إنّـــي إذًا لمجسّـــم

و إن كـــان تشـــبيها ثبـــوت صـــفاته فمـــن ذالـــك التشـــبيه لا أتكـــتّم

و إن كـــان تنزيهـــا جحـــود إســـتوائه و أوصـــــافه أو كونـــــه يـــــتكلّم

فمـــن ذلـــك التنزيـــه نزهـــت ربّنـــا بتوفيقـــه و الله أعلـــى و أعظـــم

و الأعجب أنّ اهل الحق منذ زمن يُنبزون بأنّهم من الخوارج ، و التهمة أنّهم أخذوا ما دلّ عليه القرآن و السنّة ، فأجاب هؤلاء الكاذبين الإمام إبن القيّم:

و مـــن العجائـــب أنّهـــم قـــالوا لمـــن قـــد دان بالآثـــار و القـــرآن

أنـــتم بـــذا مثـــل الخـــوارج أنّهـــم أخـــذوا الظـــواهر مـــا اهتـــدوا لمعـــــــــــــــــان

فـــانظر إلـــى ذا البهـــت هـــذا وصـــفهم نســـبوا إليـــه شـــيعة الإيمـــان

ســـلّوا علـــى ســـنن الرســـول و حزبـــه ســـيفين ســـيف يـــد و ســـيف لســـان

خرجـــوا علـــيهم مثـــل مـــا خـــرج الألـــــــــــــــــى مـــن قـــبلهم بـــالبغي و العـــدوان

و قد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن إدريس الشافعي جزءا سمّاه " تنزيه أئمّة الشريعة عن الألقاب الشنيعة " ذكر أنّ أهل البدع و الأهواء كلّ صنف منهم يلقّب أهل السنّة بلقب إفتراه – يزعم أنّه صحيح على رأيه الفاسد – كما كان

المشركين يلقّبون النبيّ بألقاب إفتروها ، فالرّوافض تسمّيهم نواصب ، و القدرية يسمونهم مجبرة ، و المرجئة تسمّيهم شكاكا – أقول : و في زماننا تسمّيهم تكفيريين أو خوارج - ، و الجهمية تسمّيهم مشبّهة ، و أهل الكلام يسمونهم حشوية و نوابت[136] و غثاء و غثرا[137] ، إلى أمثال ذلك ، كما كانت قريش تسمّي النبيّ عليه الصّلاة والسّلام تارة مجنونا ، و تارة شاعرا ، و تارة كاهنا ، و تارة مفتريا فهذه علامة الإرث الصحيح و المتابعة التّامة ، فإنّ السنّة هي ما كان عليه رسول الله عليه الصّلاة والسّلام و أصحابه ، إعتقادا و إقتصادا و قولا و عملا ، فكما أنّ المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة – و إن إعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة – فكذلك التابعون له على بصيرة الّذين هم أولى الناس به في المحيا و الممات ، باطنا و ظاهرا .[138]

قال[139] الشيخ صالح الفوزان : من مناهج الجاهلية كذلك : أنّهم لا يكتفون بالشكوى إلى أصحاب القوّة و الإنتقام ، بل يصفون أهل الإيمان بالمفسدين في الأرض ، كما قالوا لفرعون : " أتذر موسى و قومه ليفسدوا في الأرض " ، سمّوا الإصلاح إفسادا ، و الحقّ هو العكس ، أنّ الإيمان و التوحيد : إصلاح في الأرض ، و أنّ الكفر و الفسوق و الظلم و الطغيان : إفساد في الأرض ؛ فالّذي عليه موسى و قومه إصلاح ، و الّذي عليه فرعون و قومه إفساد ، لكنّهم عكسوا الأمر ، فسمّوا الإصلاح إفسادا ، و هذا دأب الكفار و المشركين و المنافقين دائما ، يسمّون المصلحين و الدّعاة إلى الله على بصيرة ، و يسمّون المؤمنين و الموحدين الّذي يدعون إلى توحيد الله و عبادته ، يسمّونهم بالمفسدين في الأرض ؛ و هذا سيء مستمر في الناس إلى يوم القيامة ، أهل الكفر و الظلم و الطغيان سمّون المصلحين بالمفسدين ، و هذا منحدر من القرون الأولى من وقت فرعون و قومه ، و هذا لا يضرّ اهل الإيمان ، و لا يضرّ اهل الإصلاح ، و إن لقّبوا بما لقّبوا .إنتهى

أقول ما قاله الإمام إبن القيّم ناصحا :

يا قومنا اللهَ في إسلامكم ... لا تفسدوه لنخوة الشيطان

يا قومنا إعتبروا بمصرع من ... من قبلكم في هذه الأزمان خلا

لم يغن عنهم كِذبهم و محالهم ... و قتالهم بالزور و البهتان

---

[136] - نوابت أي الأغمار من الأحداث ، و سبحان الله البعض يتّهم أهل الحق و خاصّة أهل الجهاد بهذه التهمة في هذا العصر .

[137] - الغثر أي سفلة الناس

[138] - مجموع الفتاوى للشيخ الإسلام إبن تيمية (3 / 5 / 73)

[139] - شرح المسائل الجاهلية (ص : 137)

كـــلا و لا التـــدليس و التلبـــيس عنـــد النـــاس و الحكـــام و الســـلطان

و بـــدا لهـــم عنـــد إنكشـــاف غطـــائهم مـــا لـــم يكـــن للقـــوم فـــي حســـبان

و بـــدا لهـــم عنـــد إنكشـــاف حقـــائق الإيمـــان أنّهـــم علـــى الـــبطلان

مـــا عنـــدهم و الله غيـــرُ شـــكاية فـــأتوا بعلـــم و انطقـــوا ببيـــان

مـــا يشـــتكي إلاّ الّـــذي هـــو عـــاجز فاشـــكوا لنعـــذركم إلـــى القـــرآن

ثـــمّ اســـمعوا مـــاذا الّـــذي يقضـــي لكـــم و علـــيكم فـــالحق فـــي الفرقـــان

لبســـتم معنـــى النصـــوص و قولنـــا فغـــدا لكـــم للحـــق تلبيســـان

مـــن حـــرف الـــنص الصـــريح فكيـــف لا يـــأتي بتحريـــف علـــى إنســـان

Al-Qayrawan

باب: التحذير من الغلوّ

الغلوّ هو مجاوزة الحدّ سواء بالإفراط أو التفريط ، قال شيخ الإسلام: " فإنّ دين الله وسط بين الغالي والجافي، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلاّ إعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيّهما ظفر، إمّا إفراط فيه أو تفريط فيه .ثمّ هؤلاء المتفرقون السّالكون درب الإفراط أو التفريط ، الكثير منهم بحكم الظن والهوى يجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل الحق والسنّة ويجعل من خالفها أهل البدع ، وهذا ضلال مبين ، فإنّ أهل الحق والسنّة لا يكون متبوعهم إلاّ رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هوإلاّ وحي يوحى ، فهو الذي يجب تصديقه في كلّ ما أخبر وطاعته في كلّ ماأمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة مهما كانت أسماؤهم، ومهما علت رسومهم ، بل كلّ أحد من النّاس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".انتهى [بتصرف]

و هذا المفهوم العام للغلوّ كان لمسألة التكفير الحظّ منه ، حيث دخله الغلوّ من الناحيتين :

1 - الغلوّ في التكفير ، و المتأمّل لحال الأمّة يُدرك أنّ هذا النوع من الغلوّ لم يقع فيه إلاّ لفيف من الشباب تلوّثوا بهذه اللّوثة لأسباب كثيرة من أهمّها :

- طغيان الحكام في جميع مجالات الحياة .
- سكوت العلماء على صدع بالحق .
- الجهل بالنصوص الشرعية و الضوابط العلمية ، و ذلك بسبب سياسة تجفيف المنابر إمّا بسبب تعسّف الأنظمة في منع دعاة الحقّ من ممارسة وظيفتهم الربّانية ، و إمّا بسبب غلوّ منهج التبديع الّذي لم يبق عالما أو داعية إلاّ شوّه و شوّهت دعوته .

و مع هذا لم يرق هذا الغلوّ إلى أن يصير ظاهرة فاحشة في الأمّة ، و معالجة هذا الغلوّ هو الدعوة إلى الله و توجيه الشباب التوجيه الصحيح بالحكمة و الموعظة الحسنة .

2- الغلوّ في عدم التكفير : نعم هذا أيضا يُعتبر غلوّا حيث صار الكثير يتحاشى تكفير من يستحقّ التكفير زاعما أنّ الحكمة تقتضي ذلك ، بل بعضهم صار يتحاشى تكفير الكفار الأصليين بحجج واهية ، و هذا الغلوّ صار ظاهرة خبيثة في الأمّة حيث سخّرت لنشر هذا المنهج الرديء كلّ وسائل الإتصال من وسائل الإعلام بكلّ أنواعها ، و كذا المنابر و الندوات و الحوارات و الدراسات ، يشارك في هذا الخبث حكاما ، و علماء ، و مثقّفين و إعلاميين و غيرهم .

و السبب الرئيس في هذا الغلوّ :إرضاء الأنظمة و الدفاع عنها ، مع ما ترتكبه من الموبقات .

المتأمّل في هذين المنهجين : منهج الغلوّ في التكفير ، و منهج الغلوّ في عدم التكفير يرى أنّ المنهج الخطير على الأمة ، و المنهج الّذي صار ظاهرة فاحشة في الأمّة ، و المنهج الّذي تُسخّر كلّ الإمكانات في سبيل نشره ، هو منهج الغلوّ في عدم التكفير ، فيجدر بالعلماء و الدعاة أن يُعطوا الأولوية في محاربة منهج الغلو في عدم التكفير ، لا كما نراه و نسمع من كثير ممّن تصدّر للدعوة صدّع رؤوسنا في محاربة ما يزعم أنّه منهج الغلو في التكفير فإذا بهم يُحاربون الحكم الشرعي في التكفير ، و رأوا أنفسهم أنهم يُحاربون الغلوّ للموقع الّذي هم فيه و هو الغلوّ في عدم التكفير ، فلمّا وقعوا في هذا الغلوّ رأوا كلّ تكفير و لو بحقّ هو غلوّ فيه ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله ، و الأدهى و الأمرّ هو لمّا ينتسب هؤلاء المتصدّرين للدعوة إلى منهج السلف ، و منهج السلف منهم براء .

Al-Qayrawan

الخـاتمـة

أسأل الله حسن الخاتمة

بعد هذا البيان و دفعا للتّهمة المغرضة الباطلة ، أقول نعم ثمّة من هم مِن أهل الغلوّ في التكفير و هم أصناف في هذا العصر :

❷ الإباضية[140] من أهل الغلو في التكفير ، فهم في هذه المسألة يلتقون مع المعتزلة إذ لا يُطلقون على مرتكب الذنوب أنّه كافر كفر نعمة ، أو كفر نفاق ، لكنّهم في الآخرة يرون خلوده في النّار .

قال[141] أحمد بن حمد الخليلي : وعقيدتنا معشر ـ الإباضية ـ أنّ كلّ من دخل النار من عصاة الموحدين والمشركين مخلدون فيها إلى غير أمد، كما أنّ من دخل الجنة من عباد الله الأبرار لا يخرجون منها، إذ الداران دارا خلود.

قال: ووافقنا على ذلك المعتزلة والخوارج على اختلاف طوائفهم.أهـ

و قال في تفسيره لقوله تعالى : " وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " [البقرة / 80-81].

قال[142] : ما فيه من البيان الصريح بأنّ مصير كلّ من ارتكب سيئة وأحاطت به خطيئته لعدم تخلصه منها بالتوبة النصوح أنّه خالد في النار مع الخالدين[143]، وهو رد على هذه الدعوى يستأصل أطماع الطامعين في النجاة مع الإصرار على الإثم.إنتهى

---

140 ـ هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي الذي خرج في أيام مروان بن محمد في أواخر دولة بني أمية ، وبعضهم يقول : كان عبد الله بن إباض مع نافع بن الأزرق ثم انشق عنه لتشدد نافع مع مخالفيه ، حيث كان ابن إباض لا يرى إلا استحلال دم مخالفيه دون أموالهم.
و هم فرق متعددة فمنهم الحفصية و اليزيدية ، والحارثية ، وغيرها ، وأشد هذه الفرق انحرافاً طائفة اليزيدية ، وإمامهم يزيد بن أنيسة زعم أن الله سيبعث رسولا من العجم , وينزل عليه كتاباً من السماء ، ومن ثم ترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد تبرأ أكثر الاباضية من هذه الفرقة ومنهم من توقف فيها.

141 ـ في كتابه الحق الدّامغ .

142 ـ نفس المصدر ، فصل : أدلة القائلين بخلود جميع مرتكبي الكبائر في النار

143 ـ و إستدلالهم بهذه الآية على سوء عقيدتهم هو من أبطل الباطل ، فهذه الآية عامّة تفسّرها آيات أخرى من القرآن كقوله تعالى : " إنّ الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء " ، فالآية أوضحت أنّ الذنوب و السّيئات قسمان ، قسم يغفره الله ، و قسم لا يغفره الله ، و عليه فتُحمل آية سورة البقرة الّتي إستدلّوا بها على آية سورة نساء .

❷ الروافض من أهل الغلوّ في التكفير[144] .

قال[145] نعمة الله الجزائري الرافضي : إنّهم كفار(يعني أهل السنّة) أنجاس بإجماع علماء الشيعة الأمامية، وإنّهم شرّ من اليهود والنصارى، وإنّ من علامات الناصبي تقديم غير عليّ عليه في الإمامة .

و قال[146] يوسف البحراني : إنّ إطلاق المسلم على الناصب – أي السنّي – و أنّه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام خلاف ما عليه الطائفة المحقّة سلفا و خلفا من الحكم بكفر الناصب و نجاسته و جواز أخذ ماله ، بل قتله .إنتهى.

❷ جماعة مصطفى شكري الّتي أطلق عليها النظام المصري : جماعة الهجرة و التكفير[147] هم من أهل الغلوّ في التكفير بل مذهبهم يلتقي في الجملة بمذهب الخوارج ، و أهمّ مبادئ الجماعة :

- ⊡ يكفرون كلّ من أرتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها .
- ⊡ يكفرون كلّ من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع إمامهم ، أمّا من انضم إلى جماعتهم ثمّ تركها فهو مرتد حلال الدم عندهم.
- ⊡ والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله تعالى فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين .
- ⊡ والهجرة هي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي الكافرة، وعندهم أنّ كلّ المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية كافرة . والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية ـ برأيهم ـ كما عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في الفترة المكية.
- ⊡ يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاصلة الشعورية لتقوية ولائهم للإسلام من خلال جماعة

---

144 ـ و لله الحمد و المنّة إذ وفّقني ان أضع بحثا بيّنتُ فيه معتقد الرّوافض ، و هو بعنوان : هؤلاء هم الرّوافض فأحذروهم .

145 ـ كتابه الأنوار النعمانية[206-207].

146 ـ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (12 / 323 – 324)

147 ـ هذه التّسمية تُطلق عليهم و يُعرفون بها ، أمّا هم فلا يسمّون أنفسهم بها ، بل يُلقّبون أنسفهم :" جماعة المسلمين " ، ظهرت أفكار هذه الجماعة داخل سجون مصر جرّاء التعذيب المُمارس ضدّ مشايخ و شباب الحركة الإسلامية و خاصة جماعة الإخوان المسلمين، و كان أوّل منظّر لفكر الجماعة الشيخ علي إسماعيل ، أمّا أوّل أمير الجماعة بعد تنظيم أفرادها و تراجع الشيخ على إسماعيل عن أفكاره هو شكري أحمد مصطفى أبو سعد إذ بُويع له عام 1971 ؛ توفّي بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه و على بعض أفراد جماعته يوم 30 مارس 1978م صبيحة زيارة السادات للقدس .
و هم الآن جماعات مختلفة ، كلّ واحدة منها تزعم أنّها جماعة المسلمين ، برزت في الجزائر مثلا تحت مسمّى الجماعة الإسلامية المسلّحة بزعامة زيتوني ثمّ عنتر زوابري .

المسلمين وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفّوا عن الجهاد حتّى تكتسب القوّة الكافية ، و هنا تلاحظ أنّ هذه الجماعة أبعد ما يكونون عن ميادين الجهاد .

هذه أهمّ مبادئ الجماعة .

فهؤلاء جميعا الّذي ذكرتُ من إباضية و روافض و جماعة الهجرة و التكفير هم أهل الغلوّ في التكفير ، أمّا ما أشرت إليه من مسائل فهي من معتقد أهل السنّة فهو المذهب الوسط حقا المحافظ على ثوابت الشريعة ، فالطائفة المنصورة من أهل السنّة هم من أشدّ الناس حرصا على الحقّ و أرحمهم بالخلق ، كما أنّهم من أشدّ النّاس إلتزاما بالردّ على أهل الباطل كالغلاة في التكفير .

و في مقابل هؤلاء الغلاة في التكفير ثمّة من هم من أهل الغلوّ لكن في جانب آخر من التميّع و التنازل عن الثوابت و المساومة في الحق بإسم الوسطية

و الإعتدال بل هو تحريف و كذب و تدليس على الكتاب و السنّة و هم أصناف و على رأسها ما يُعرف بمرجئة العصر[148] .

تمّ الغرض من كتابة هذه الأسطر و الحمد لله ، أسأل الله أن ينفع بها كاتبها و قارئها يوم لا ينفع مال و لا بنون.

سبحانك اللّهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك و أتوب إليك .

أبو حفص سفيان الجزائري

[148] ـ هو لقب تُعرف به جماعة تزعم إتباع منهج السلف ، و منهج السلف منهم براء كما نصّ على ذلك جمع من العلماء ، و من مشايخ هذه الفئة الملبّس على النّاس دينهم : علي حسن علي عبد الحميد الحلبي كما نصّ على ذلك الشيخ عبد الله الغديّان يوم 17 / 05 / 2006، و من تلبيسات هذا الحلبي أنّه نشر كتابا بعنوان
" الأسئلة العراقية في مسائل الإيمان و التكفير المنهجية ، و اجوبة فضيلة الشيخ صالح الفوزان " و على غلاف هذا الكتاب مكتوب فيه : ضبط و تعليق علي بن الحسن الحلبي ، يزعم فيها الحلبي أنّها أسئلة وجّهها بعض طلاب العلم العراقيين على الشيخ صالح الفوزان و وقّع على الإجابات ، فلمّا رجع الشيخ عبد العزيز الراجحي الشيخ الفوزان بخصوص هذه الرّسالة كذّبها الشيخ في خطاب بخطّ يده عندي نسخة منه المؤرّخة يوم 13 ربيع الثاني 1426 هج ، كما قام بتكذيب ما جاء في هذه الرّسالة مرّة ثانية في أحد دروسه على شرح السنّة للبربهاري بالصوت ،
و ذلك يوم 12 صفر 1427 هج .
و مع ذلك لا تزال هذه الرسالة تداول بين أتباع هذا الرجل ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

أعاد نشر هذه المادة مؤسسة القيروان الإعلامية
1432هـ

Al-Qayrawan

مُؤَسَّسَةُ القَيْرَوَانَ الإِعْلَامِيّة